

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



مذكرة ماستر

تقديم الطالب: محمد سائحي

ميدان: اللغة العربية

الشعبة: الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات عربية

البعد التداولي في كتاب " سرّ الفصاحة "
لابن سنان الخفاجي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
مسعود دادون	أستاذ محاضر "أ"	رئيسا
بشير بديار	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
هنية مايدي	أستاذة محاضرة "أ"	مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017 م – 1439/1438 هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم و أكرمنا بالتقوى وأجملنا بالعافية....

إلى الذي جعل المولى الجنة تحت قدميها، إلى التي جعل الله قلبها روضة من رياض الجنة ... ونبعا للحب ننهل منه أسرار السعادة الأبدية ... إلى التي كان حبها وحنانها نورا وشمسا لأيامي والمعين الوحيد على امتداد العمر ... إلى قيمة التضحية والوفاء ... ، إلى من سهرت الليالي لأجلي وكانت دعواتها بالتوفيق تتبني كلما خطوات خطوة في عملي ، إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي، إلى أعلى شيء في الوجود نبع الحنان ورمز الأمان أُمي الحبيبة حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى رمز المحبة والعطاء إلى من جعل للحياة معنى وزرع في القلب بسمة وبعث في الفؤاد بهجة... إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام، وعلمني معنى المثابرة لنيل المبتغى فكان الرجل في كل مجال، إلى من تعب وشقي لأصل إلى هذا المستوى، الذي غمرني بعطفه ورعايته وكان مثالي الأسمى في الكفاح والصمود فكانت دعواته سراجا ينير دربي إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق أبي الغالي حفظه الله وأدامه تاجا على رأسي.

إلى التي قسمتني حلو الحياة ومرها والتي يطرب القلب بلقيها وتقر العين برؤيتها: زوجتي العزيزة حفظها الله وأدام عليها الصحة والعافية .

إلى بركة البيت كله ونبع الحنان ابنتي الشحرورة الكتكوكة الصغيرة أسيل حفظها الله ورعاها..وأقول فيها

أسيل ابنتي نداوة زهر لا يجف

أسيل دفء جوارح لا تهدأ

أسيل شقاوة من النهار لآخر الليل

أسيل صوت بلبل لا يعرف سوى أُمي

ابنتي أسيل

سكنت في قلبي أميري المدللة

وأمسيت أرسم أحلامك الخيالية

واقعا وإن كان صعبا أذله

فأنت هدية من الله لي وواقعا ما أجمله

إلى عماد بيتنا ومصباح أيامنا ونجم أفراننا الذي أتمنى أن يضل مشرقا ومتألئنا ، إلى الذي لم ييخل علي يوما بدعمه المعنوي والمادي وكان سندي لي بتوجيهاته وإرشاداته 'أخي العزيز ياسين "

إلى جميع الأهل والأحباب وخاصة عائلة سائحي ،لقرع

إلى كل عمال والطاقم الإداري وأساتذة متوسطة جليخ الحواس بين ناصر بن شهرة

إلى كل من طلبة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عربية دفعة 2017/2018م كل واحد باسمه.

إلى كل من جمعني بهم مقاعد الدراسة من الابتدائي الي الجامعي.

إلى كل أساتذة وعمال قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الأغواط كل واحد باسمه.

إلى أرواح أقباءنا وأصدقائنا الذي أتمنى أن تغمرهم المغفرة ويسكنهم الله المولى عز وجل فسيح جنانه...

إلى كل من عرفتهم من قريب أو بعيد

إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلبيإلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع. محمد سائحي

شكر وعرافان

اللهم لك الشكر والحمد على نعمة العلم التي أنعمت علينا بها، وعلى الصحة والعافية في سبيل انجاز هذا العمل، ومصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

من لا يشكر الناس لا يشكر الله

يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير إلى من مد يد المساعدة وأفادني بالتوجيه والملاحظة وساهم معي في تذليل ما واجهته من صعوبات وأخص بالذكر:

الأستاذ المشرف الدكتور "بديار بشير" الذي لم ييخل علي بنصائحه وإرشاداته القيمة لإنجاز هذه المذكرة ولن تكفي حروفها لإيفائه حقه بصبره الكبير علي. كما أتوجه بخالص شكري وتقديري للدكتور "مسعود صحراوي بتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن، والتي ساهمت بشكل كبير في اتمام واستكمال هذا العمل.

أشكر أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين استطاعوا أن يجعلوا لقسمنا الكيان والوجود رغم كل الصعاب.

أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

محمد سائحي

فهرس المحتويات

3	الإهداء.....
4	شكر وعرفان.....
5	فهرس المحتويات.....
8	مقدمة.....
11	الفصل الأول: تحديد مفاهيم التداولية.....
12	المبحث الأول: ماهية التداولية.....
12	المطلب الأول: التعريف بالتداولية.....
12	الفرع الأول: لغة.....
12	الفرع الثاني: اصطلاحا.....
14	المطلب الثاني: أبرز أنواع التداولية.....
14	الفرع الأول: التداولية التلفظية.....
14	الفرع الثاني: التداولية التخاطبية.....
14	الفرع الثالث: التداولية التحاورية.....
14	المطلب الثالث: مهام التداولية.....
15	المبحث الثاني: أهم مباحث التحليل التداولي.....
15	المطلب الأول: متضمنات القول.....
15	الفرع الأول: الافتراض المسبق.....
16	الفرع الثاني: الأقوال المضمرة.....
17	الفرع الثالث: الاستلزام الحواري (المحادثي).....
17	الفرع الرابع: الفعل الكلامي.....

20	المطلب الثاني تعريف الحجاج.....
20	الفرع الأول لغة.....
21	الفرع الثاني: اصطلاحا.....
22	الفرع الثالث: السلام الحجاجية.....
22	المطلب الثالث: المقاصد.....
23	الفرع الأول: مفهوم القصد.....
23	الفرع الثاني: أهمية المقاصد.....
24	المطلب الرابع: نظرية التواصل.....
24	الفرع الأول: تعريف التواصل لغة.....
24	الفرع الثاني: التواصل اصطلاحا.....
27	الفصل الثاني: ملامح التفكير التداولي عند ابن سنان.....
28	تمهيد:.....
28	المبحث الأول: البعد التواصللي والتداولي للكلام عند ابن سنان.....
29	المطلب الأول: الكلام بوصفه معنى قائما في النفس.....
30	المطلب الثاني: الكلام بين التصية والتداولية.....
35	المبحث الثاني: موقع المتكلم في بلاغة ابن سنان.....
37	المبحث الثالث: مبدأ المواضعة والقصد عند ابن سنان.....
41	المطلب الأول: المواضعة و التواصل الإشاري عند ابن سنان.....
43	المطلب الثاني: المواضعة ومقصدية اللغة.....
44	المطلب الثالث: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.....
46	المطلب الرابع: القصدية التواصلية عند ابن سنان والتفاعل الخطابي.....

49	المبحث الرابع: المتكلم و إنتاج المعنى عند ابن سنان:
51	الخاتمة
53	قائمة المراجع والمصادر.....
53	المراجع باللغة العربية
53	الكتب
55	الدوريات:
55	المعاجم:
55	مواقع الإنترنت:
56	الملخص

مقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونتوب إليه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن التراث العربي بما فيه من لغة غنية بمفرداتها، مرنة باشتقاقاتها جميلة برسم حروفها ومن أدب يصور نبضات القلوب، وخلجات النفوس ونجوى الضمائر، وفناء في التأمل ومن فلسفة قد بلغت الغاية في عمقها وثمورها ومن حكم وتشريع، لم تصل الإنسانية بعده، إلى أفضل منه هذا مما جعلت الباحثين المعاصرين يهتمون برصد خصائص ومراجعة أسس هذا التراث العربي، بوصفه منظومة معرفية متشعبة القضايا والمفاهيم، واعتباره مجالاً رحباً صالحاً لكل الدراسات، وقراءة تراثنا العربي تمثل تحدياً كبيراً بسبب ما يفصلنا عنه من مسافة زمنية طويلة وما تعكسه من تباين في ثقافة الأمتس، وثقافة اليوم.

كما أن العودة لتراثنا العربي تساعدنا على إقامة بناء تصوري ومنهجي وما التداولية اليوم إلا مدخل مناسب لدراسة هذا التراث حيث تعتبر محل اهتمام كثير من العلوم التي تهتم بالإنسان وفكره اللغوي، وهي جديرة بأن تكون رائدة في مجالات البحث والتفكير، حيث تثير الأبحاث التداولية اهتمام كثير من الباحثين في مختلف المجالات باعتبارها منهجاً يجعل الأولوية في اهتماماته لقضايا الاستعمال اللغوي والتواصل الإنساني، وهذا ما يؤكد لنا بأن التداولية ما هي إلا تطور طبيعي لدراسات قديمة، مع فارق أساسي وجوهري يكمن في الظرف التاريخي الراهن، الذي يساعد على تنوع العلوم والمعارف، والتي يمكن أن يفتح عليها الدرس التداولي المعاصر، وهذا ما يجعله قادراً على النهوض بنفسه بوصفه مجالاً معرفياً واسعاً قابلاً للتطور، فالتداولية ليست علماً لغوياً محضاً بحيث ينحصر اهتمام الباحثين فيه بالانشغال بالتركييب اللغوية، أو التركيز على الجوانب الدلالية فحسب بل هي علم يهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات، فهي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ومن ثم تجيب التداولية عن العديد من الأسئلة التي تستوعب هذه المجالات المعرفية المتنوعة في تراثنا العربي إذ من الممكن تحيين العديد من المدونات التراثية العربية مع الدرس التداولي المعاصر.

لذلك جاء البحث بعنوان: "البعد التداولي في كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته: اختيارنا للموضوع تمثل في الآتي:

اختياره من طرف الدكتور المشرف "بديار بشير"، وبعد البحث والاستقصاء، رأيت أن الإمام بن سنان الخفاجي - رحمه الله - لم يحظ بالقدر العلمي والبحثي الذي يتناسب مع ما قدمه من علوم اللغة العربية عامة، والفكر التداولي عنده خاصة وعدم التطرق لهذا الموضوع من قبل، لهذا استقر الرأي من خلال البحث عن (البعد التداولي في كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي)، والله الموفق.

لقد كان اختياري لهذا الموضوع نابعا من هذه المتعة التي غمرتني بالتراث العربي كأبي قارئ ولوع متذوق لهذا التراث ...، فقد كان لي دراسة سابقة في مذكرة التخرج

ليسانس والموسومة بعنوان: " الفعل الكلامي في كتاب مختصر السعد للتفتازاني" تحت إشراف الدكتور: " مسعود صحراوي" ...

فالمدونة "كتاب سر الفصاحة" متوغلة في جذور هذا التاريخ وحاولنا من خلالها الولوج إلى هذا التراث ورصد حقائقها، وحصرتها وتحليلها في ضوء الاتجاه التداولي المعاصر، فحياة الأمم رهينة بحياة تراثها، فالأمة التي لا تدرس تراثها لا تاريخ لها، والأمة التي لا تاريخ لها ليست إلا كتلا من البشرية لا وزن لها في تاريخ الأمم. وقد كانت الإشكالية على النحو الآتي:

هل كان التفكير التداولي حاضرا عند ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة؟
وتفرع من هذه الإشكالية الرئيسية سؤالان مهمان يمهدها لموضوع بحثنا هو:

ما هي ملامح هذا البعد التداولي في كتابه سر الفصاحة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم تقسيم موضوع البحث إلى فصلين متكاملين ومتناسقين فيما بينهما، يتضمن كل فصل مجموعة من العناصر الجزئية لتوضيح الدراسة.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: تحديد مفاهيم التداولية وحاولنا من خلاله ضبط مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالتداولية تناولنا فيه مجموعة من التعريفات التي قمنا من خلالها ماهية التداولية كما تطرقنا فيه إلى مفهوم التداولية لغة واصطلاحا وصولا إلى المفهوم الأوسع للتداولية بأنها دراسة الفعل الإنساني القصدية التواصلية ، وعليه فهي تنطوي على تفسير أفعال يفترض القيام بها لإنجاز غرض معين ثم تم الولوج إلى مهام التداولية مبرزين أنواعها الثلاثة : التداولية التلفظية والتخاطبية والتحوارية، وتطرقنا إلى مجموعة من النقاط التي تحدد مهامها مروراً بأهم مرتكزات مباحث التحليل التداولي وهي: متضمنات القول والاستلزام الحوارية ، وأفعال الكلام والحجاج والمقاصد ونظرية التواصل ..

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: التفكير التداولي عند ابن سنان الخفاجي. فخصصناه للدراسة التطبيقية وحاولنا في بداية هذا الفصل أن ندل على مقومات وآليات تحقيق الفصاحة لدى المتكلم وأبعاده التواصلية والتداولية عند ابن سنان، وموقعه في أي عملية تواصلية مروراً بالظاهرة اللغوية المتمثلة في مبدأ المواضعة والقصدية لدى ابن سنان وأهمية المعنى بدراسة مقاصد المتكلم وكيفية تبليغه لها، وفي الأخير ختمنا البحث بمجموعة من النتائج التي أظهرتها الدراسة والتحليل.

وقد اعتمدنا في كل هذا على المنهج الوصفي مشفوعاً بمقاربة تداولية لأن الدراسة في الأصل تريد الكشف عن

ملاحم في تراثنا العربي، من خلال مدونة كتاب سر الفصاحة،

ومن بين أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث والتي أفادتنا كثيرا، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، " مسعود صحراوي " في كتابه التداولية عند العلماء العرب، " خليفة بوجادي " في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم، "عبد السلام المسدي " التفكير اللساني في الحضارة العربية.

وتكمن أهمية الموضوع في كون هذه الدراسة تسمح لنا بالكشف عن تلك العقول الثاقبة التي استطاع من خلالها علماءنا الأفاضل الوصول إلى مجموعة من المفاهيم هي في الحقيقة من صميم الدرس التداولي المعاصر. مع العلم أن أي بحث لا يخلو من صعوبات تخترق مسيرته في حدود إمكانياتنا صعب على إيجاد دراسة سابقة تتحدث حول الموضوع على مستوى جامعتنا.

- صعوبة انتقاء المعلومات التي نفيدنا في مجال البحث.

- صعوبة قراءة وفهم المدونة نظرا لتشعب القضايا الواردة فيها.

و من أبرز الصعوبات أيضا الجمع بين التراث والحداثة ، لا سيما وأن التداولية منهج جديد ، لكن هذه الصعوبات لا تقف عائق أمام إنجازنا لهذا البحث المتواضع إلا أنني جعلت منها حافزا لإتمام البحث ، وهذا بفضل ما قدمه لي أستاذي المشرف الدكتور "بديار بشير" الذي رعى هذا البحث حتى استقام على ما هو عليه ، فلم يدخر جهدا في سبيل تقويم اعوجاجه ودفع نقائصه فمهما قدمت له من شكر فلن أفيه حقه ، فله مني أسمي عبارات الشكر والاحترام والتقدير وخالص العرفان وجميل الثناء ، وفي الأخير آمل أن يكون البحث قد حقق الأهداف المسطرة وأن يثري مجال البحث في الدراسات العربية.

الفصل الأول: تحديد مفاهيم التداولية

● المبحث الأول: ماهية التداولية.

- المطلب الأول: تعريف التداولية.
- المطلب الثاني: أبرز أنواع التداولية.
- المطلب الثالث: مهام التداولية.

● المبحث الثاني: أهم مباحث التحليل التداولي

- المطلب الأول: متضمنات القول.
- المطلب الثاني: الحجاج.
- المطلب الثالث: المقاصد.
- المطلب الرابع: نظرية التواصل.

المبحث الأول: ماهية التداولية المطلب الأول: التعريف بالتداولية

الفرع الأول: لغة

جاء في مقاييس اللغة: «... فقال أهل اللغة إن دال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان... تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعضهم...»¹

ويقال الدولة في المال والدولة في الحرب وإنما سميا بذلك من قياس الباب لأنه أمر يتداولونه فيتحول من ذلك على هذا»¹.

وجاء في مختار الصحاح: «... ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته مرة وهذه مرة»² وجاء في قوله تعالى: {... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ... }³ أي الأيام دول يوم عليك ويوم تساء ويوم تسر⁴

- وقوله تعالى: {... كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ... }⁵ أي يبقى المال بين الأغنياء دون الفقراء.

الفرع الثاني: اصطلاحا

من الناحية الاصطلاحية نجد أن اللغويين اختلفوا في المعنى الاصطلاحى للتداولية ويكاد ينعدم وجود تعريف دقيق ومحدد ومتفق لأن " مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة"⁶.

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ج2، دار الجيل، ط 1991، م، ص314.

² محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986م، ص 192.

³ القرآن الكريم، الآية 140، سورة آل عمران.

⁴ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، لبنان، 2001م، ص211.

⁵ القرآن الكريم، الآية 7، سورة الحشر.

⁶ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سوريا، ط2،

2012م، ص52.

ومن بين الأسباب كذلك ترجمة المصطلح (pragmatique) فقيل تعني "البراغماتية . البراغماتيك ،
البراغماتية ، البراجماتيك ، وهي نقل حرفي للمصطلح الأجنبي وقيل التداولية المقامية الوظيفية الذرائعية
النفعية ، إلا أن مصطلح التداولية هو الذي اختاره الجيلالي دلاش واستخدمه المتوكل¹ ، والأستاذ مسعود
صحراوي وغيرهم كثير... ، وقد اخترنا مصطلح التداولية في بحثنا .

وقد عرف شارل موريس بقوله "التداولية هي ميدان من السيميائية يتناول العلاقة بين العلامات
ومستعملها"² وظهرت معه حين ميز سنة 1938 عن مجالات ثلاثة في الإحاطة بأية لغة :

1- علم التراكيب 2- علم الدلالة 3- التداولية - "

والتداولية تستوعب كل مكونات اللغة إلى جانب المكون الدلالي والمكون التركيبي"³ ،

والتداولية توصيف كذلك لتصور اللغة وبشكل أعم للتبليغ والاتصال"⁴.

ومعظم النظريات التي تدخل ضمن هذا التيار " تسعى إلى إثبات علاقة المتكلم بسياق الكلام
وتثبيتها"⁵ ومما يلحظ على هذه التعريفات رغم اختلافها في الرؤى إلا أنها تدور حول مضمون واحد وهو
علاقة المتكلمين بالسياق.

وتسعى التداولية من خلال ماسطر لها من أهداف الإجابة عن التساؤلات التالية:

"من يتكلم؟، من يقع عليه الكلام؟، ماذا نفعل عندما نتكلم؟..."

¹ نفسه، ص 54، 53.

² عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط 1، 2003م، ص 08.

³ دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط 1

2008م، ص 101.

⁴ نفسه ص 102.

⁵ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 08..

المطلب الثاني: أبرز أنواع التداولية

الفرع الأول: التداولية التلفظية

لسانيات التلفظ تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين المعطيات الداخلية للملفوظ وبعض خصائص الجهاز التلفظي (مرسل، متلقي، وضعية التلفظ) التي يندرج ضمنها الملفوظ.

الفرع الثاني: التداولية التخاطبية

نظرية أفعال اللغة تختص بدراسة القيم التخاطبية المنكبة داخل الملفوظ والتي تسمح له بالانشغال كفعل لغوي خاص.

الفرع الثالث: التداولية التحوارية

وهي هنا تعني دراسة الشروط القبلية للتواصلية، وتكمن أهميتها في التقيد بالبحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلي للغة (حوارات)¹.

المطلب الثالث: مهام التداولية

وترتبط مهام التداولية عند كثير من الدارسين بدراسة "استعمال اللغة" التي تدرس "البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محمدا صادرا من متكلم محدد مواجهها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في" مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي جديد".

-شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

-بيان أسباب أفضلية التواصل غير مباشر وغير حربي على التواصل الحربي المباشر

¹ عبد الله جاد كريم، أنواع التداولية، مقال من الانترنت، موقع شمس أخبار، تاريخ النشر، 2 ديسمبر 2016م.

- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات¹

وبالرغم مما وصلت إليه الأبحاث التداولية من نتائج إلا أن هناك تصورات بقيت لاصقة بها ومنها إنها وصفت بسلة مهملات اللسانيات أو كما عبر عليها عمر بلخير موقعة الدراويش أي أن التداولية تدرس كل ما لم تستطع اللسانيات دراسته.

كما أنها لا تتوقف عند المعاني المعجمية الملفوظات بل على البعد التداولي لها.

المبحث الثاني: أهم مباحث التحليل التداولي.

المطلب الأول: متضمنات القول

إن الكلام لا يمكن أن يأتي دائما مباشرا، بل يمكن أحيانا حمل المتلقي على التفكير في شيء غير مصرح به وهو كلام متضمن في القول الصريح²... مما يجعل السامع يشارك في عملية الإنتاج.

أو هو " مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره³.

لأن المخاطب لا يصرح بكل شيء بل هناك ظواهر خفية ومتضمنة في القول ، متفقة بين المتكلمين يحكمها السياق ومن أهمها:

الفرع الأول: الافتراض المسبق

له أهمية كبيرة في التواصل وبدونه ينعدم التواصل بين المتكلمين لأنه:

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط2005، م1، ص27، 26 .

² عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص111.

³ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص30.

ذو طبيعة لسانية بمعنى انه يتم إدراكية عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول¹ بتحليل السامع للعلامات اللغوية يتم الفهم والتواصل بين المتكلمين .

ينطلق المتخاطبون من معطيات وافتراضات يعرفونها فيما بينهم والافتراض المسبق يشكل الخلفية اللازمة للتواصل².

مثال :أ- أغلق النافذة،ب- لا تغلق النافذة .

ففي كلا الجملتين افتراض مسبق ، وهو أن النافذة مفتوحة.

الفرع الثاني: الأقوال المضمرة

يرتبط بوضعية الخطاب ومقامه تقول أوريوني "هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها ، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"³ .

والمثال التالي يوضح ذلك : (إن السماء ممطرة).

ومن خلال سماع هذه الجملة يتبادر إلى الذهن عدة تأويلات :

* المكوث بالبيت .

* الإسراع للعمل حتى يصل في الوقت .

* الانتظار و التريث حتى يتوقف المطر...

¹ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص113.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص30، 31.

³ نفسه، ص32.

الفرع الثالث: الاستلزام الحواري (المحادثي)

نظرية الاستلزام الحواري "قائمة في الأساس على فكرة المحادثة وإدارة الحوار واستقامته والتي تتبين في استعمال تراكيب صحيحة منطلقة من كيفية الأداء الحواري والتدرج فيه وصولاً إلى انتهائه وسلامته اللغوية وتوفيقه بين أطراف التخاطبية¹.

مثال: الأستاذ أ: هل الطالب "ج" مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة .

الأستاذ ب: الطالب "ج" لاعب كرة ممتاز.

لاحظ غرايس أن إجابة الأستاذ "ب" تدل على معنيين أحدهما حرفي ان الطالب "ج" من لاعبي الكرة الممتازين، والثاني مستلزم أن الطالب "ج" ليس مستعد لمواصلة دراسته في قسم الفلسفة² .

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تم خرق أحد القواعد التالية:

أ/مسلمة الكمية: ويراد بها كمية.

ب/مسلمة الكيف: لا تقل ما تعتقده كاذب، ولا تقل ما لم تستطع البرهنة عليه، فالكلام يكون مناسباً.

ت/مسلمة الملائمة: المشاركة في الكلام تكون مناسبة ومفيدة.

ث/مسلمة الجهة: واضحة شاملة وتقوم على ثلاث قواعد (البعد عن اللبس، تخر الإيجار، تحري الترتيب).

الفرع الرابع: الفعل الكلامي

الفعل الكلامي هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري، ويعد نشاطاً مادياً نحويًا يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض انجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية.

¹ بشيري البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي مجلة الابتسامة، الأردن، ط2012، م1، ص257.

² ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص30.

تخلص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ،ومن ثم فهو فعل تأثيري أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم انجاز شيئا ما¹ .

وقد توصل أوستين إلى تقسيم " الفعل الكلامي الكامل " إلى ثلاثة أفعال فرعية:

أ- فعل القول/الفعل اللغوي/الفعل اللفظي :

هو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد.

وهو المعنى الأصل ففعل القول بالضرورة يشتمل على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات المعهودة :المستوى الصوتي المستوى التركيبي المستوى الدلالي ولكن "أوستين" يسميها أفعالا ومثال ذلك : (إنها ستمطر) .

يفهم معنى الجملة ولكن لا ندري أهي إخبار عن المكوث في البيت أو أخذ

المظلية أو... حسب السياق لمعرفة قصد المتكلم .

ب-الفعل الإنجازي الفعل المتضمن في القول:

هو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي

(أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات) وهو الفعل المقصود من النظرية ،ولذلك اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال القوة الإنجازية ، ومن أمثلة ذلك: السؤال والجواب ، أمر نهي ...

¹ مسعود صحراوي،التداولية عند العلماء العرب،ص40.

ج - الفعل التأثري / الفعل الناتج عن القول:

وأخيرا يرى أوستن انه مع القيام بفعل القول ،وما يصحبه من فعل متضمن في القول فقد يكون الفاعل قائما بفعل ثالث وهو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ،ومن أمثلة تلك الآثار الإقناع التضليل ،الإرشاد...

استنادا إلى مفهوم القوة الانجازية ميز أوستن بين خمسة أنواع من الأفعال الكلامية¹. هي :

1/الأفعال الإيقاعية: وهي تتحدد دلالتها بمجرد النطق بها، حيث يكون إيقاع الفعل فيها موحيا بالدلالة المقصودة في الوجود .ومن شروطها ،نسبتها إلى المتكلم ،وزمنها الحاضر أو المستقبل ،نحو: الوصية ،الدعاء الرجاء، الشكر، التحية...

2/الأفعال الطلبية : تشمل كل الأفعال الدالة على الطلب ،من دون اشتراط صيغة لها ،نحو:أمرت، أوجبت ، نهيته وغرضها الانجازي هو حمل المخاطب والتأثير فيه ليفعل شيئا أو يخبر عن شيئا .

3/الأفعال الإخبارية :يشمل كل العبارات التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي ، وغرضها الانجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة وأن يتأتى إلا بتوفر شرط القصد في الإبلاغ .

4/الأفعال الالتزامية : هي أفعال يلتزم بها المتكلم طوعا بفعل شئ ما للمخاطب في الحاضر او في المستقبل مع إخلاص النية والقصد وعزمه على الوفاء بذلك ، ومنها الوعد، المعاهد ، الضمان ، الإنذار...

5/الأفعال التعبيرية : تشمل أفعال الكلام التعبيرية كل الأساليب والعبارات التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره ، من رضى وحزن وغضب وسرور ونجاح وفشل... كما تتعدى ذلك لتشمل ما يظهر

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ومقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ،بيت الحكمة،سوريا،

في بنية الخطاب مما يحدث للمشاركين في الفعل ووقعة عليهم أثناء أفعال الشكر، التهنية، الاعتذار الشكوى¹...

المطلب الثاني تعريف الحجاج

الفرع الأول لغة

جاء في لسان العرب «الحج القصد...، والحجة البرهان، وقيل الحجة ما يدفع به الخصم، وقال الأزهري: «الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو محجاج أي جدل، والتحجاج التخاصم...، وحجة يحجه حجا، غلبة على حجته...»

وقال الرازي «في الأصل القصد وفي العرف قصد مكة للنسك و بابه رد،... والحجة البرهان وحاجة فحجة، من باب رد غلبة بالحجة، وفي المثل لج فحج فهو رجل محجاج بالكسر أي جدل والتحجاج التخاصم...»²

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس «... فالأول القصد، وكل قصد حج...، والأصل الآخر الحجة وهي السنة، والأصل الثالث وهو الحجاج وهو العظم المستدير حول العين، والأصل الرابع المحججة وهو النكوص...»³

جاءت كلمة الحجاج في المعاجم العربية على عدة معان نلخصها في: القصد اي قصد مكة لأداء مناسك الحج، البرهان، الجدل، التخاصم، الحماية، السنة.

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ومقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، ص152.

² ابن منظور لسان العرب، (مادة ح ج ج)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م.

³ ابن فارس، مقاييس اللغة، (مادة ح ج ج)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، 1979م.

الفرع الثاني: اصطلاحاً

الحجاج ظاهرة لغوية نجدها في كل خطاب، كما نجدها في الأسماء والأفعال، والظروف، والحروف، نجدها في كل ظواهر اللغة و مجال مهم من مجالات التداولية التي تعني عند بريلمان وتيتكاه العلم و موضوعه، مؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها أطروحات، و أن تزيد درجة التسليم، و محاولة إذعان العقل لما يطرح عليه من أفكار.

ويمر الخطاب الحجاجي في تشكله بالأدوار التالية :

أ /مرحلة مصادر الأدلة .

ب /مرحلة ترتيب أجزاء القول .

ج /مرحلة الصياغة الأسلوبية .

د/مرحلة الإلقاء¹.

نظراً للغويان بريلمان و تيتكاه إلى الحجاج من ناحية شكله وغايته . فالمخاطب عند الإلقاء عليه أن يراعي مصادر المحتج بها ثم يرتبها حسب قوتها وبعدها يصيغها صياغة أسلوبية تتناسب مع الفئة المخاطبة وبعدها تأتي مرحلة الإلقاء.

ويعرف أيضاً الحجاج سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هي الطريقة التي تطرح بها الأدلة² (...) اغفل هذا التعريف غاية الحجاج واهتم بشكله كما نجد هذا عند طه عبد الرحمان حين

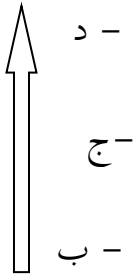
¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007م، ص17.

² نفسه، ص.19.

عرف الحجج بقوله هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها .
فالحجج مهما تعددت وجهات النظر واختلفت في الرؤى فشكله واحد وهو تقديم الأدلة وغاياته الإقناع.³

الفرع الثالث: السلام الحجاجية

هو ترتيب الحجج وفق سلم معين لإثبات نتيجة حيث تطرح نظرية السلام الحجاجية تصورا من حيث تلازم بين قول الحجة و نتيجتها ، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمهما تعكس تعدد الحجة الواحدة على أن هناك تفاوتاً من حيث قوة بناء هذه الحجج .



كفاءة زيد

ن : ب ج د حجج تخدم النتيجة ن . .

ونمثل له بالأقوال الآتية :

ب - حصل زيد على شهادة الثانوية .

ج - حصل زيد على شهادة الإجازة .

د - حصل زيد على شهادة الدكتوراه .

- كل هذه الحجج تؤدي إلى نفس النتيجة وهي كفاءة زيد .¹

المطلب الثالث: المقاصد

لقد عرف الباحثون أهمية المقاصد في الخطاب، تمثل ذلك عند كثير في شتى العلوم التي تتعلق بلغة الخطاب، سواء قديما أو حديثا انطلاقا من أن المقاصد هي لب العملية التواصلية، لأنه «لا وجود لأيّ

³ محمد حمودي، الحجج وإستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، جامعة مستغانم الجزائر، مقال من الانترنت،

<https://platform.almanhal.com/Files/2/54209>

¹ حمو النقاري، التحجج طبيعته، مجالاته، وظائفه وضوابطه، ط 1، النجاح الجديد، الدار البيضاء، 2006م، ص

تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود تأليف للعلامات»، ولأنها كذلك يرى "سيرل" أنّ المقاصد ذات تكوين بيولوجي ولها أطر معينة في ذهن المرسل، وعليه ففلسفة اللغة عنده تعدّ فرعاً من فلسفة العقل.

الفرع الأول: مفهوم القصد

تعددت دلالات مفهوم القصد في المعالجات النظرية فهو دال على عناصر ثلاثة:

أ- دال على الإرادة.

ب- دال على معنى الخطاب.

ت- دال على هدف الخطاب.

الفرع الثاني: أهمية المقاصد

للقصد دورة في تقنين مسارات النقاش والحجاج، بشرط أن يكون المرسل إليه قد فهمه كما يعنيه المرسل حيث يجب عليه ألا يتكلم إلا على المقصود من كلامه ولا يفترض لما لا يقصد مما يجري من خلاله، فالكلام على ما لم يقصده عدول عن الحقيقة أي الفرض المطلوب، إذ ينبنى على القصد المستلزم من الخطاب السابق،¹ ما يأتي بعدهنّ فيصبح هو أساس الخطاب التالي بين الطرفين، وبالتالي يتحتم اعتباره في مسار الحوار إستراتيجية الإقناع مثلاً أو في أيّ خطاب تناظري أو جدلي، وتنبع أهمية فهمه على أنه دون القصد، لا يدرك المرسل إليه المعلومات على أنها إشارة من لدن المرسل، بل هي مؤشر .

وهنا يتساءل "سيرل" عن الفارق بين شيئين لاعتبار أحدهما مادة للاتصال اللغوي بينما لا نعتبر الآخر كذلك، ثم يجيب بأنّ هناك فرقا جوهريا وهو أنه يجب أن نفترض أنّ إنتاج المرسل كان وفقا لنوع معين من المقاصد، ليتمكن اعتبار الصوت أو العلاقة المدونة على الورقة اتصلا لغويا أي رسالة، ولا يقف دور القصد عند إيجاد العلاقة الدلالية اللغوية بين الدال والمدلول بل يمتدّ إلى استعمالها في الخطاب لاحقا، إذ

¹ إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة الأبحاث للنجاح العلوم الإنسانية، المجلد 28، 2014م، ص 05 .

إنه بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به واستعماله فيما قرّرتَه المواصفة لأنّ فائدة هذه الأخيرة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا أن نأمر قصدناها.

وفائدة القصد أن تعلق تلك العبارة بالمأمور وتؤثر في كونها أمرا له فالمواصفة تجري مجرى شحن السكين وتقوم الآلات، والقصد يجري مجرى استعمال الآلات ، وقد أكدت الأبحاث السيميائية بأنّ غموض المعنى يرجع إلى تعدّد دلالات العلامات المستخدمة في عملية التواصل.¹

وفي هذا الإطار، أكدت عمليات تحليل الحوار ، بأنّ تبادل العلاقات والرموز يؤدي إلى العديد من سوء التفاهم وإلى تحويل المعنى المقصود من طرف أحد المتخاطبين .

المطلب الرابع: نظرية التواصل

الفرع الأول: تعريف التواصل لغة

يفيد التواصل في اللغة العربية الاقتران والاتصال والصلة والترابط والجمع والإبلاغ والانتماء والإعلام. أمّا في اللغة الفرنسية فكلمة (Communication) تعني إقامة علاقة وتراسل وترابط وهذا يعني أنّ هناك تشابها في الدلالة وفي المعنى بين مفهوم التواصل العربي والتواصل الغربي.¹

الفرع الثاني: التواصل اصطلاحا

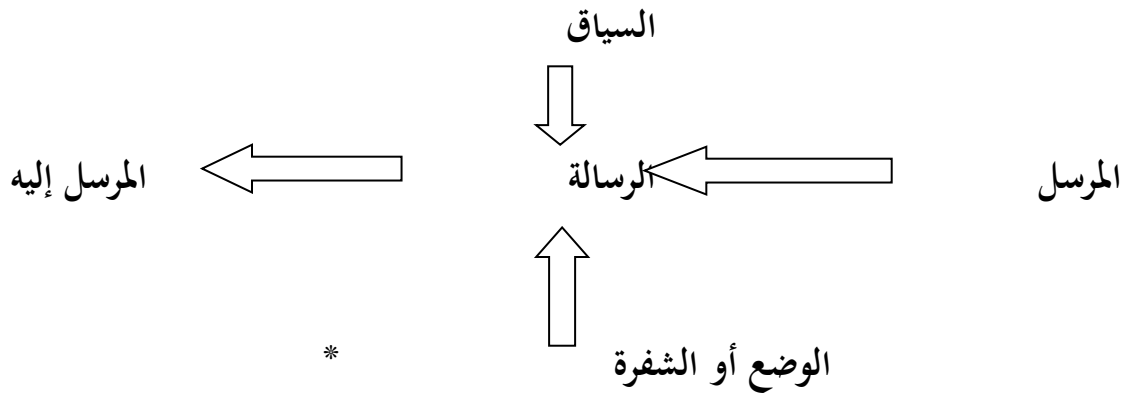
يدل التواصل في الاصطلاح على عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواسلا غيريا وقد ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف.

يفترض التواصل باعتباره نقلا وإعلاميا- مرسلا ورسالة ومتقبلا وشفرة، يتفق في تسنينها كلّ من المتكلم والمستقبل وسياقا مرجعيا ومقصديّة الرسالة.²

¹ إدريس مقبول، في تداوليات القصد، ص 24.

ويعرّف "شارل كولي" (التواصل قائلًا: «التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كلّ رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكلّ يشمله آخر ما تمّ في الاكتشافات في المكان والزمان»¹.

يرى "جاكسون": أنّ العوامل المختلفة غير النمطية لعملية التواصل يمكن رسمها في المخطط التالي:²



* عملية الاتصال.

وكّل واحد من هذه العوامل ينتج وظيفة لسانية مختلفة.

وفي هذا الإطار أيضا، تطرح مسألة استقبال المعلومة من طرف المتلقي الذي لا يمكن اعتباره سلبيا بأيّة حال، فهو يقوم بفك رموز الرسالة وتحليلها وتأويلها ، بحيث تتحكم في ممارسته هاته مجموعة عوامل منها: مرجعية الثقافية وحمولته المعرفية والمسافة القائمة بين مستواه الثقافي والمستوى المطلوب لفهم المعلومة ، وهذا

¹ عمر أوكان، اللسانيات والتواصل، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م، ص65.

² عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، الطبعة1، 2004م، ص193.

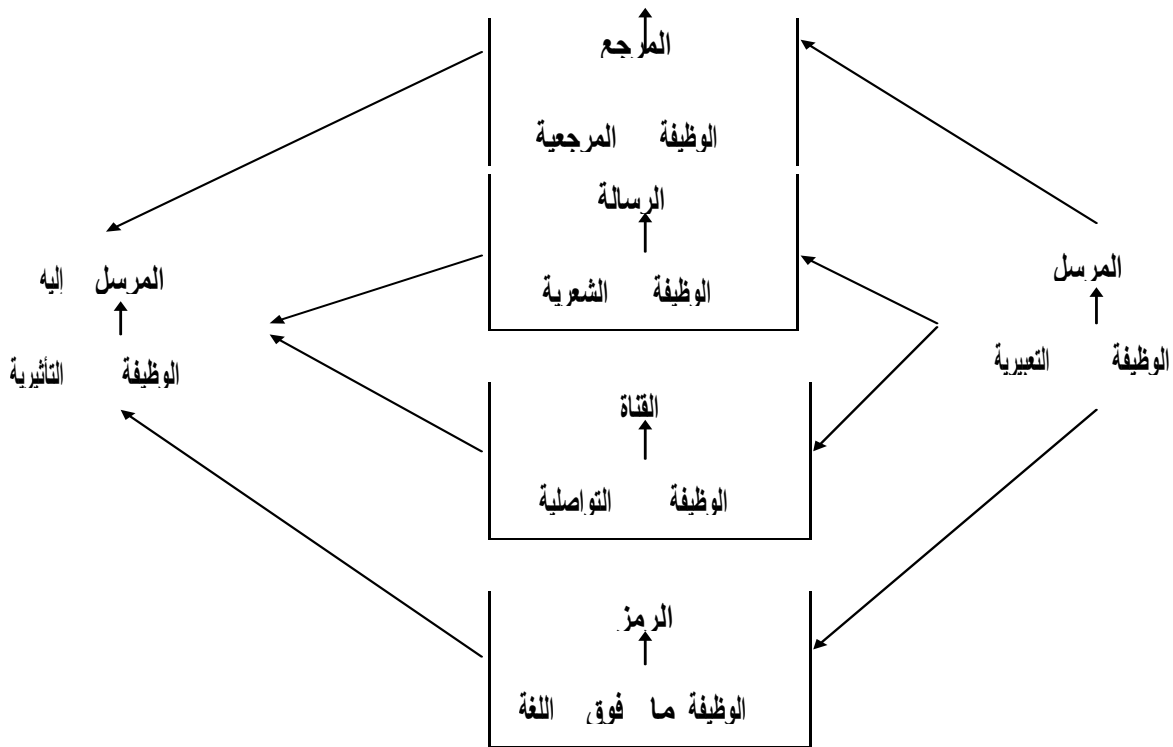
² رومان جاكسون، البحوث في اللسانيات العامة، ترجمة: علي حاكم وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م، ص88.

2 الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص199.

هو المقصود من مفهوم غريبله المعلومات من طرف المتلقي الذي ينعكس انتماءه الثقافي على مواقفه وردود أفعاله.²

وإذا ما حاولنا تشخيص الوضع التواصلية فإننا سنتوصل إلى مجموعة من الحقائق أهمها :

- تعدد المعاني التي يحتويها مضمون رسالة؛ إذ أن كل معلومة تتوفر على مضمون ظاهر وآخر خفي. ويمكن ربط هذه الوظائف بالعناصر ليست ذكرها "جاكسون" في المخطط الآتي:¹



وخلاصة القول أنّ اللغة وجدت لتبادل أفكار الناس فيما بينهم و وجودها يكون بفضل هؤلاء الناس أو الجماعة التي تحكمها خبرة مجتمعهم، وقد تعددت وظائفها في هذا التبادل للأفكار أو نقلها أو خدمتها للإنسان وتحديد المبتغى المنشود.

¹ محمد الحاج، ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2001 م، ص 13.

الفصل الثاني: ملامح التفكير التداولي عند ابن سنان

المبحث الأول: البعد التواصلي والتداولي للكلام.

– المطلب الأول: الكلام بوصفه معنى قائما في النفس.

– المطلب الثاني: الكلام بين النصية والتداولية.

المبحث الثاني: موقع المتكلم في بلاغة ابن سنان.

المبحث الثالث: مبدأ المواضعة والقصد عند ابن سنان.

– المطلب الأول: التواصل الإشاري عند ابن سنان.

– المطلب الثاني: المواضعة ومقصدية اللغة.

– المطلب الثالث: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

– المطلب الرابع: القصدية التواصلية عند ابن سنان

– المبحث الرابع: المتكلم وإنتاج المعنى عن ابن سنان

تمهيد:

لا تختلف طبيعة الصوت عن مبدأ الكلام الذي ينتج عن ذلك بعدها، فمقاصد المتكلم موجهة لغاية واحدة هدفها التواصل وإظهار المعنى، ويتحقق ذلك باتحاد الصوت مع الحرف وائتلافهم لتحقيق عنصر الكلام، وقد جعل ابن سنان الخفاجي¹ للكلام فصلاً كاملاً في كتابه ذكر فيه ضوابط الكلام ومقوماته، مستعينا بالرؤى النحوية التي أسهمت في تكوين هذا العنصر، وأضاف إليها منهجاً تعليمياً يضبط من خلاله آليات تحقيق الفصاحة ومقوماتها لدى المتكلم.

ومن خلال هذا الطرح عنده سنحاول فيما يلي عرض بعض ملامح التفكير التداولي المتمثلة في عناصر العملية التواصلية (المتكلم، المتلقي، القصد) عنده في كتابه سر الفصاحة.

المبحث الأول: البعد التواصلية والتداولية للكلام عند ابن سنان

اعتنى ابن سنان بدراسة الألفاظ وأصواتها وحروفها وتأليفاتها، وكل ذلك إشارة إلى قيمها التعبيرية داخل سياق نظمها في مرحلة تعليقها مع غيرها، فبدأ دراسته بالحديث عن مكونات الألفاظ المفردة، ثم انتقل إلى الكلام عنها في تراكيبيها، وقد أبدى الاهتمام بعنصر الكلام وهو فرع لغوي تباحثته كتب الدرس اللساني الاجتماعي.

وقد وجهت الدراسات القديمة أنظارها في الدراسة نحو درسين هما النحو والبلاغة على الخصوص، وتباحثت في أسفارها مسألة الكلام كل حسب وجهة نظره، فأما النحاة فقد صبوا اهتمامهم على مفاهيم الكلام وفروقاته مع الكلم، وبحثوا في مصطلحاته كاللفظ والقول والكلمة وحددوا أقسامه وعرفوها، وأما أصحاب الكلام فقد اهتموا بذكر أحواله وأحوال عملية التكلم وأغراضها وطرق الإنشاء، وبحثوا في فصاحة الكلمة والكلام والمتكلم، ولقد تراوح كلام ابن سنان بين ذكر كلام النحاة تارة، وكلام أهل الكلام تارة أخرى بغية الكشف عن صيغة الخطاب التي تقتضي وجود ذات متكلمة وذات سامعة وسياق محدد في مقام بيان رسالة مبنوثة بالمعاني وقصد يفهم الخطاب ويجلي أهدافه وأبعاده، وبدون تحقق فهم

¹ هو الأمير العالم الشاعر الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمود بن الربيع بن سنان الخفاجي، مولده عام (422 هـ)، نسبه في بني خفاجة الذين كانوا ينزلون حول حلب، وهي خفاجة بن عمرو بطن من بني عُقيل بن كعب من قيس بن عيلان، انتشرت بعد الإسلام فيما بين الجزيرة والشام، وأسسوا دولة في بادية العراق، وولي الخفاجي على قلعة عزار وهي من أعمال حلب فعصي بالقلعة، وعندما خرج من عزار قاصداً حلب توفي مسموماً سنة ست وستين وأربعمائة (466 هـ) ... وحمل إلى قلعة حلب.

الخطاب للسامع لا يتحقق مراد المخاطب من العملية التواصلية.¹ ، ومن القضايا التي تطرقت لها الدراسات قديمها وحديثها عملية التواصل وركزت في محاورها الرئيسة على المقومات الأساسية التي تنهض عليها، والتي يوحي غياب عنصر فيها إلى اختلال التواصل ويؤثر على صحة إيصال الفكرة كما أرادها المخاطب (المتكلم) إلى المخاطب (السامع) بمقاصدها ومعانيها، وطالما أكدت المباحث اللسانية على هذه المبادئ وسنحاول فيما يلي عرض بعض مبادئ الكلام كما تجلّت عند ابن سنان.

المطلب الأول: الكلام بوصفه معنى قائما في النفس

لم يختلف طرح الخفاجي عن طرح أصحاب الكلام حين فصلوا بين الكلام والمعاني النفسية، وأن المعنى كامن في النفس، يقول ابن سنان: «فإن قيل: الصوت المسموع طريق إلى إثبات الكلام القائم في النفس، قلنا: ليس يخلو من أن يكون طريقا إليه بأن يعلم عنده أو يستدل به عليه، فإن كان الأول وجب أن يعلم كل من سمع الكلام الذي هو الصوت الواقع على بعض الوجوه شيئا آخر عنده، ومعلوم خلاف ذلك وإن كان يستدل به عليه، فالكلام المسموع إنما يدل على ما لولاه لما حدث، وهو القدرة، أو ما لولاه لم يقع على بعض الوجوه وهو العلم والإرادة. فأما ما سوى ذلك فلا دلالة عليه لنفي التعلق»²، فيجعل الكلام متعلّقا بالقدرة والكفاءة في الوصف وحسن النقل.

ويجّرده من كلّ المعاني النفسية التي يحتملها، كما أشار إلى ذلك صاحب الكليات فقال: «وأما الكلام الذي هو صفة قائمة في النفس فهي صفة حقيقة كالعلم والقدرة والإرادة»³.

ويضيف ابن سنان في ذلك: «وبعد: فإن الإنسان قد يطلق أيضا فيقول في نفسي بناء دار، ونسج ثوب، كما يقول في نفسي كلام، فهل يدل ذلك على أن البناء والنسجة معنيان في النفس كما دل عندهم على أن الكلام معنى فيه. ثم إن لقول القائل في نفسي كلام وجها صحيحا، وذلك أن المعنى إني عازم عليه ومريد له، ولهذا لو أبدلوا هذا اللفظ مما ذكر لقام مقامه في الفائدة»⁴ وقد عارض الخفاجي التوجه الذي اعتبر المعنى الكامن في خلد الساكت كلاما، يقول: «وأما تعلّقهم بأن الساكت يقال فيه إنه

¹ رشيد يحيوي، التبالغ والتبالية، نحو نظرية تواصلية في التراث، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2005، م، ص 172.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 64.

³ أيوب موسى الحسين الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق محمد عدنان، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، دت، ص 756.

⁴ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 66.

متكلم، فليس بصحيح، لأن المراد بذلك إمكان الكلام منه أو إضافته إليه عن طريق الصناعة كما يقال للصائغ- في حال هو لا يصوغ فيها- إنه صائغ، وكذلك سائر الصناع
ثم هو مع ذلك استدلال بالمعاني على العبارات، وقد بيّنا فساد ذلك فيما تقدّم¹ وفي كلامه هذا إثبات لصناعة الكلام التي تصدر عن المتكلم في هيئة أصواتها وألفاظها وعباراتها.
فمن غير المعقول أن تدلّ المعاني على العبارات لأن الثانية تسبب الأولى وتوصلها إلى سمع المخاطب وتفصح عنها، ولا معنى لكلامه هذا وذلك لإثباته العلاقة بين الخطاب والمعنى واشتراك حصوله فيه.

المطلب الثاني: الكلام بين النّصية والتداولية

إنّ هذه الدراسة تهدف إلى تطويع نصوص ابن سنان على أنّها كانت ذات نظرة تداولية خالصة بقدر ما تحاول قراءة الكتاب وفق نظرية لغوية حديثة تتفق بعض رؤاها مع ذلك الطرح، فلا عجب أن كلام البشر واحد وإن اختلفت طبيعته، وأول ما جعلنا نفكر في ذلك منهج ابن سنان الذي ابتداءً فيه الحديث عن الصوت ثم الحرف ثم الكلام ثم اللغة، وطالما ناقشت الدراسات الحديثة العربية والغربية اللفظة من أصواتها إلى غاية توسّطها التركيب.

ومن مواضع عناية ابن سنان بالمتكلم وكشفه عن كفاءات حصول النشاط الكلامي إشارته إلى الفعل الصادر عنه في صورة تجريدية صادرة عن الفاعل تنقلب إلى هيئة فعلية تتطابق وأحوال المتكلم الخطابية، وفي بعض كلامه توجيه لحال الاستعمال اللغوي الذي اتفقت عليه الدراسات الحديثة.²
فيقول: «والذي يدل على ذلك أن أهل اللغة متى علموا أو اعتقدوا وقوع الكلام بحسب أحوال أحدنا وصفوه بأنه متكلم، (...) ومتى لم يعلموا ذلك أو يعتقدوه لم يصفوه»³

وبيّن هذا موقع الكلام من الفعل المرتبط به، وهو من أكثر المواقف التي عبّر فيها ابن سنان عن العلاقة الرابطة بين المتكلم... والفعل الصادر عنه خاصة عند اعتداده بالأفعال الكلامية الصادرة عن المتكلم والتي تعبّر عن الأحداث الموضوعية لها، فينتقل بالكلام من صورته الذهنية إلى صورته الفعلية المحسوسة، يقول: «فجرى هذا الوصف في معناه مجرى وصفهم لأحدنا بأنه ضارب ومحرك ومسكن وما

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 66.

² رشيد يحيوي، التبالغ والتبالغة، نحو نظرية تواصلية في التراث، ص 181.

ابن سنان، سر الفصاحة، ص 68.

أشبه ذلك من الأفعال، ومن دفع ما ذكرناه في الكلام وإضافته إلى المتكلم تعذر عليه أن يضيف شيئاً على سبيل الفعلية، لأن الطريقة واحدة¹.

ووصف عبد السلام المسدي ذلك بأنه إبراز "للمتصور التجريدي في تحديد هذه العلاقة العضوية بين الكلام وصاحبه"².

واعنتت اللسانيات الحديثة ببحث العلاقة الرابطة بين المتكلم وما يصدر عنه من أقوال ذهنية (تجريدية) وفعلية تتحقق بها مقاصد الخطاب، وينجلي بها المعنى المراد، وقد اتجه ابن سنان إلى التمثيل عن ظاهرة الترابط الحاصل بين الكلام وصاحبه وتعلق هذه الصفة بالذات الإنسانية دون غيرها فضرب مثالا على ذلك: «ولا يلزم على ما ذكرناه إضافة كلام النائم أو الساهي إليهما، وإن لم يقع بحسب المقصود وذلك أننا لم نقتصر على ذكر المقصود والدواعي دون جملة الأحوال»³

ويحتمل هذا القول الإشارة إلى حاجة الخطاب لمتلقٍ يعين على تحقيق الفعل، «فإذا كان الكلام هوفعل المتكلم يفعله في اللغة باختيار أجزائها وتركيبه بينها، فإن السامع أو المخاطب ضروري في هذه الحالة لأنه الهدف المقصود بالإبلاغ، وذلك يوجب التأكد من بلوغ الهدف بملاحظة موقف المخاطب ومعرفة رد فعله بسكوته على المعنى إقراراً منه بتحقيقه»⁴.

ولأنّ بيان مقاصد الخطاب تجلّي المعاني الكامنة في النص، نلاحظ توجه ابن سنان إلى توضيح هذه الإجراءات بربطها بالفعل المباشر "فالحدث اللغوي عند الخفاجي بمنزلة الفعل الموضوعي كالضرب وغيره، ليسلب عنه صفة الحالات كالعلم والقدرة. فيكون المتكلم صانعا لحدث الكلام، ويكون الكلام بالتالي من قبيل الأفعال المنفصلة عن صاحبها"⁵.

وجدير بالبيان أن ابن سنان رفض اعتبار هذا فيقول "«فأما حدّهم للمتكلم بأنه من له كلام فأحالة على مبهم والسؤال باق، لأنه يقال: فكيف صار الكلام له، أبان حلّه؟ أو بان فعله؟ فلا بد من

¹ نفسه، ص 68.

² عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1986م، ص 287.

³ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 69.

⁴ رشيد مجايوي، التبالغ والتبالغة، ص 154.

⁵ أنظر: معن توفيق دحام، التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل

، 2012م، ص 390.

التفسير «...¹ وفي كلامه هذا كثير من التعارض مع ما ذكره سابقا عندما رفض أن يكون الكلام هو فعل المتكلم، لكن تأكيده على فعلية الكلام ومكان صدوره دليل على إيمانه بالجانب التفعيلي الحاصل من المتكلم.

وكل إشارات ابن سنان للحدث الصادر عن فعل المتكلم تحمل بعض الأفكار الفلسفية التي تناقشتها المباحث التداولية الحديثة، فالمغايرة الحاصلة عنده لما أقره العلماء قبله وجمعه في الفعل الكلامي بين مفاهيم الفعل والإنجاز والحدث والتأثير كافية للتقاطع مع رؤى التقسيم الحديث في اعتبار الكلام فعلا إنجازيا بعد تمكّن الحقيقة القولية، فتتحقق بذلك الأغراض القصدية،

التي تفيء به إلى المعنى (جوهر) العملية التواصلية والمفوضي إلى دلالاتها، يقول ابن سنان: «ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه²، وكل ذلك مرتبط باختيار مذاهب الكلام التي تنحصر على المتكلم وحده.

وعليه فإن مباحث اللغة قديمها وحديثها لم تأل جهدا في دراسة الدلالات التي تتصرف عن الكلام وأفعاله ف "أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية. وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري.

وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية .

كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول³، تلك هي تصورات أوستين للكلام. وقد عبر أوستين عن هذا النوع من الأفعال الكلامية في ثلاثة صور هي:

أ - فعل القول أو الفعل اللغوي.:

يتجاوز هذا الفعل تحديدات الفلسفة إلى النظر في الأفعال الإنجازية المرتبطة باللغة التي تتجاوز هي الأخرى مفهوم التواصل إلى تحقيق الفعل، يقول أوستين: «ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 69.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 222.

³ مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص 40.

بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات اللسانية المعهودة"¹، وابن سنان لم يهمل ذلك بل على العكس .

فالتفصيل الذي تعرّض له للصوت على مستويي الأفراد والتركيب وحديثه عن حسن التركيب والدلالة لاحقاً، دليل على حسن تبصّره بحاجة الكلام لهم، وقلّما وجدنا من علماء اللغة من تفتّن إلى مثل ذلك في منهجه، والتدرّج الصوتي التي يحيل إلى اللغة لا يعني تقييده على مستوى فعل التّلفظ الصوتي فقط بل يتعلّق بالتّلفظ السياقي الذي يستدعيه الخطاب "ويجب عدم الخلط بين التّلفظ بوصفه النطق الصوتي الضروري لإنتاج الخطاب مع مستوى التركيب والدلالة، فهو مجرد تصويت لا يحدّد سمات الخطاب التداولي. وبين التّلفظ بوصفه فعلاً في السياق، فقد يكفي المرسل به لإنتاج خطاب مناسب للسياق.

بما يعادل القول عند ابن جني؛ لأنه يحيل طرفي الخطاب إلى السياق، لإفهام المرسل إليه قصد المرسل"²، لأن الكلام يتحقق على مستوى العناصر جميعها.

ب- الفعل المتضمن في القول:.

وهو الأساس الذي قامت عليه النظرية، ويمثّل "الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنّه عمل ينجز بقول ما (...)ومن أمثلة ذلك: السؤال، وإجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر"...³، ونلمح هذا في درس ابن سنان عند إشارته إلى المفيد من الكلام الذي يعبر عن معاني الخبر كالجحود والتنبيه والتمني والتعجب والأمر والنهي والسؤال والطلب والدعاء والعرض والتخصيص وغيرها⁴ ويربط أصحاب هذا الاتجاه اللغوي فعل التّلفظ بدلالة التمييز بين طرفي الحقيقة والمجال؛ نظراً لما يكتنف ذلك الفعل من إعراب عن منطق الاستعمال الخطابي،

ف "التلفظ هو الفيصل لبيان الحقيقة من المجاز في استعمال اللغة، مما يمنح الاستعارة دورها في إثراء الخطاب، وتنويع إمكاناته، وذلك بتحديد مراجع الإحالة فيه"⁵، ويدخل ذلك ضمن ما أشار إليه ابن

¹ نفسه ، ص 41.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 29.

³ مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص 42.

⁴ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 67.

⁵ ابن سنان، سر الفصاحة ، ص 30.

سنان في إفادة الكلام التي تكون على ضرب من الحقيقة التي قد تتصف ببعض سبل المجاز التي يقرّرها صاحب الكلام، يقول في ذلك: «والمفيد من الكلام ينقسم إلى قسمين: حقيقة ومجاز»¹.

ج- الفعل الناتج عن القول:.

وهو فعل يتكون بعد الفعلين الأولين، ويكون من أداء المتكلم غايته التأثير في أفكار المخاطب ومشاعره، ولم يغفل ابن سنان هذا التأثير الوارد في فعل المتكلم كقوله في التخصيص «وأما التخصيص فهو في معنى الأمر لأنه ينبئ عن إرادة المخصص للفعل»²،... ونلاحظ مثيل ذلك عن استثنائه لكلام النائم والساهي الذي تنتفي منه الإفادة والتأثير، فمن أوجه إضافة الفعل لفاعله قوله والكلام يقع من النائم والساهي بحسب قدرتهما ولغتهما، واللثغة العارضة في لسانهما وغير ذلك من أحوالهما على أن قد احترزنا بذكر التقدير في كلامنا لأن المعلوم أن كلام النائم لو كان قاصد الوقوع بحسب قصده، وإنه مخالف لكلام غيره³.

وعلى أساس ذلك يمكن التمييز بين ثلاثة أفعال هي:⁴.

* **الفعل الفونيطيقي الصوتي:** (يتعلق بالأصوات المحمولة في الهواء)، وهو أمر وارد في درس ابن سنان.

* **الفعل الكلامي:** (النطق ببعض الألفاظ والكلمات المرتبطة بالأصوات الموجودة في أنحاء مخصوصة)، ويتعلق بتوجيه الأفعال حسب المقامات كالكلام والتكليم والكلم..

* **الفعل الخطابي:** كيفية الاستعمال والإنجاز المقترن بالمعنى المحدد، ويشير إلى الغرض المقصود والمرتبط بالمعنى والسياق. وكلها عناصر تتدخل في توضيح الإشارات المتعلقة بأفعال الكلام عند ابن سنان خاصة تلك التحليلات التي عقدها للنظر في باب الفروق بين الكلام والتكليم وسير فكرة المبالغة في الصيغة وعلاقة ذلك بالمعنى، والفرقة بين المهمل في الكلام والمستعمل منه وبناء عليه فإن فعل "التلفظ هو الأساس الذي بنى عليه (أوستين) نظرية الأفعال اللغوية، ومن بعده (سيرل)، بوصفه ممارسة المرسل لينجز فعلا لغويا، يتلاءم مع السياق، أي هو ما يصطلح عليه، عند النحويين والبلاغيين العرب، وغيرهم من الفقهاء وعلماء الأصول بالإنشاء، والإنشاء ما تحد قيامه بالذهن والتلفظ به زمانا ووجودا، كالطلب على

¹ نفسه، ص 68.

² نفسه، ص 67.

³ نفسه، ص 68.

⁴ عبد القادر قينيني، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام-، دار إفريقيا الشرق، (د، ط)، 1991م، ص 116.

أقسامه، والتداء وقسم الإنسان على نفسه، والعقود¹ وحسب ما تقدّم فإن ابن سنان لم يغفل الحديث عن أي جانب يتدخل في تأسيس فكرة الكلام، وإن تراوح ذلك عنده قبولاً ورفضاً.

المبحث الثاني: موقع المتكلم في بلاغة ابن سنان

يعدّ (المتكلم) محور أي عملية تواصلية، فهو العنصر الفاعل في تأسيس الخطاب وبناء هياكله، وهو المحدّد للعناصر الخطابية التي تتجلى في الوصف التواصلية الوظيفي، ولمّا كانت الكلمة في العربية أساس البناء فقد اعتنى ابن سنان ببيان كيفية تشكيلها وتحدّث عن هيئة الأصوات والحروف فيها ثم اتخذ سبيله للكشف عن مفاهيم الكلام بطريقته الخاصة، ثم توجه إلى الحديث عن مركز كلّ هذا الإنشاء والتكوين اللغوي، وما كان ابن سنان ليغفل الدور البناء لهذا العنصر، ويظهر اهتمامه به في جملة من المواضع، خاصة بعد الحديث المستفيض الذي أولاه لعنصر الكلام، ومن ذلك قوله في إثبات محلّ الكلام ومصدره: «والكلام مما يوجب حالاً للمتكلّم، إذ لا طريق إلى إثبات ذلك من ضرورة أو استدلال»²، وفي ذلك إشارة ضمنية إلى الطبيعة الزمنية المرتبطة بالحدث الكلامي الذي يعتبر أصواتاً منتشرة يوجهها المتكلم إلى مخاطب واحد أو عدّة متخاطبين حسب المقام الذي يتطلّبه المقام ف"الكلام يوجد في الصدى ونكون نحن المتكلّمين به"³، ويحتمل هذا التعريف وجهها من...

القصد الذي يشحن به خطاب المتكلم المرسل إلى جمهور السامعين، كما يثبت التشابه الحاصل في أقوال المستمعين له.

قيّد الحفاجي الكلام بفعل المتكلم - وإن كان قد نفى هذا الحدّ سابقاً - والقصد الذي يبتغيه فلا بد للكلام من متكلّم يصدر عنه بإرادة تامة ويكون الكلام راجعاً للتوقعات والاعتقادات التي يعتقدونها صاحب الكلام، يقول: «وإذا كنا قد بيّنا حدّ الكلام وحقيقته فينبغي أن نذكر حقيقة المتكلم فنقول: إن المتكلم من وقع الكلام الذي بيّنا حقيقته بحسب أحواله من قصده وإرادته واعتقاده وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديراً»⁴ فالكلام صناعة المتكلم اللفظية التي جرت عليها عادة العرب، وأدنى تأمل لهذا القول يبيّن فهم ابن سنان لمقومات الكلام الذي يصدر مع عملية الكلام والظروف

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 29.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 65.

³ نفسه، ص 66.

⁴ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 67، 68.

المحيطة بها، ويقف على مبدأ القصد وتحقيق الأغراض والمعاني. ليس يخفى على أحد أن تبيّن هيئة هذا المقوم اللساني لا تشتد بعد تواتر ظروف الزمان والمكان بعيدا عن الذوات المنشئة لها فعلا، ولو وصف هذا الفعل بالموضوعية في البداية - كما يراه بعض الدارسين - ، ليصل إلى قمة التفسير للظاهرة وأبعادها بعد النظر في مسبباتها وقراءة أهم أهدافها وغايتها¹،

ونظرية إثبات الحال كانت محلّ طرح لكثير من باحثي اللغة والناظرين في العناصر المؤسسة لها.

وما اشتغال ابن سنان على هيئات المتكلم في أحواله ومحالّه إلاّ جزء لا يتجزأ منها؛ خاصة ما ورد في مجال وصف السمات الفاعلة لذلك، يقول: «والكلام مما يوجب حالا للمتكلم، إذ لا طريق إلى إثبات ذلك من ضرورة أو استدلال ، ولا فرق بين من ادعى في الكلام أنه يوجب حالا وبين من ادعى ذلك في جميع الأفعال كالضرب وغيره، وأيضا فإن الكلام يوجد في الصدى، ونكون نحن المتكلمين به»²، وهذا يعني اشتغال الباحث على الخطاب عن طريق الأفعال التي تمّ توظيفها في الصيغة لتحقيق الغرض التواصلية.

ويوضح الخفاجي آراءه الخاصة التي يدعمها بمجموعة من القيم التعليلية المشحونة بدقة العبارة والوصف عنده، وهذا مدخل لربط عناصر الكلام بالحديثية المترامنة معه، ومما يتدخل في تأسيس ذلك بحث العلاقة بين الكلام وصاحبه، وهي أمر يتخذ صورتين لدى أصحاب علم الكلام "لأنه يتركز أولا على صعيد التنظير المبدئي من حيث ارتباط مادة الخطاب بصانعها. ويتركز ثانيا على ازدواجية الابتداء والاحتذاء ، لأن علاقة المتكلم بخطابه تختلف خفة وثقلا تبعا لكونه حاكيا له أو واضعا إياه"³.

وذكر ابن سنان كلا المبدئين فقيّد الأول بوصف الأفعال الصادرة منه ومناقشتها على مستويي التنظير والفاعلية، وذكر الثاني في باب الحكاية والمحكي بإثبات حال الفعل والتّحدي والإعجاز البادي فيه في لغة القرآن الكريم، يقول في ذلك: «...والجواب عن هذا: إنّما وقع بفعل مثل القرآن على الابتداء دون الاحتذاء"⁴، وعليه تكون دلالة الفعل هي المؤشر الدّال على قوة الخطاب أو ضعفه، مع النظر طبعا في حال طرفي التواصل والرسالة وغيرها من العناصر المكملّة للعملية التواصلية.

¹ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 286.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 69.

³ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 286، 287.

⁴ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 71.

ومن باب الدلالة على الفعل وفاعله قوله: «وأما قولهم أنهم لم ينطقوا في الكلام إلا بفعل التي هي للتكثير، لشرف الكلام عندهم، فذلك هو الحجة في إطلاق لفظ الكلام وتكلم على القليل الذي ليس بمفيد لما ذكره من الشرف والمبالغة»¹ وهو وصف لمبدأ الحديثية (...) والتفاعل فيه².

المبحث الثالث: مبدأ المواضعة والقصد عند ابن سنان

يوميء مصطلح القصد إلى الأغراض التي يبتغي المتكلم تمريرها لتحقيق "غرض تواصلية معين يصوغه جزئياً ضمن فحوى خطابه، وتتفاوت صياغة الغرض التواصلية من حيث درجة صراحتها التي يحددها مخزون المتكلم المعلوماتي حين التواصل وما يفترضه المتكلم عن مخزون المخاطب المعلوماتي"³، كما نهضت كثير من تعريفات الكلام في النحو على مفهوم القصد وتحقيق الإفادة. ولطالما رعت الدراسات اللغوية مقاصد المتكلم الناتجة عن الخطاب فحاولت تبينها من صيغة الفعل التعبيري اللغوي ضمن معطيات مقام معين مخصص لتحقيق أداء تواصلية سليم، وكلام بين المعاني.

وكثيراً ما حفلت كتب التراث البلاغية بمثل تلك التوجهات، فابن سنان يقول ممثلاً على ذلك: «والكلام يتعلق بالمعاني والفوائد بالمواضعة، لا لشيء من أحواله وهو قبل المواضعة إذ لا اختصاص له. ولهذا جاز في الاسم الواحد أن تختلف مسمياته لاختلاف اللغات»⁴،

وهي إشارة واضحة لتعدد معاني اللفظ الواحد التي تتحدّد أولاً بالقصد الذي يرومه صاحب الكلام، وبالسياق الذي يوجه المعنى نحو الصياغة المطلوبة، واستعداد مفردات اللغة للتواضع على تحقيق عنصر الإفادة، ويضيف ابن سنان في ذلك قائلاً: «وهو بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم له واستعمالاته فيما قررته المواضعة ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها،

لأن فائدة المواضعة تميز الصيغة التي متى أردنا مثلاً أن نأمر قصدناها. وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور، وتؤثر في كونه أمراً له... فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكين وتقويم الآلات ، والقصد يجري مجرى استعمال الآلات بحسب ذلك الإعداد»¹، فالفصل بين الفائدة والمواضعة رهين بمؤهلات المتكلم واستعمالاته المتطابقة مع مقتضى الحال، ويقول عبد السلام المسدي عن هذا السياق:

¹ نفسه، ص 63.

² معن توفيق دحام، التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة، ص 390.

³ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية - بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط،

2001م، ص 19.

⁴ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 66.

«ويعمد ابن سنان إلى تحسّس الدقائق الملائمة لتمييز فكرة المواضعة... من فكرة القصد على المستند النظري...»¹

فينتهي إلى تخلص الرابط الجدلي بينهما مشتقا إياه من كيانه التجريدي ليسوقه مساق الانفصال المادي المحسوس، فالكلام لا يستقيم بناؤه إلا إذا طابق سنن المواضعة، ولكنه لا يفيد ما يفيد إلا إذا استند إلى مبدأ القصد، غير أن القصد نفسه لا يفعل فعله في الكلام إلا إذا كان ممثلا لإملاءات سنن المواضعة². وقد تحدّث عبد الرحمن الحاج صالح عن جهود القاضي عبد الجبار في باب المواضعة في الكلام، وأشار إلى أنّ أقواله حولها كانت صائبة إلى حدّ بعيد، حتى أنه يمكن تشبيهه بالمقابلة التي يجريها ابن سنان بين الكلام والمعاني من جهة، وبين الفائدة و المواضعة من جهة أخرى بتلك التي أجراها القاضي عبد الجبار بين "اللغة كمواضعة وبين الخطاب كاستعمال فعلي"³.

وذهب الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح إلى تمثيل ذلك وفق المعادلة التالية:
"لغة/خطاب = مواضعة/ استعمال"⁴.

وتأتي استعمالات المصطلحين عند ابن سنان في موقع التركيز اللساني للقضية اللغوية، لذلك تعدد الرؤى المقترنة بمصطلح المواضعة لتشمل الأطر المنوطة بها في ظل الاستعمال الذي تحدده آليات التعبير اللساني، فالمواضعة مبدأ سنته المجموعات اللغوية وحصرت به معاجمها واستعمالاتها، وهي قانون مرتبط بمبدأ القصد في علاقة الكلّ بالجزء في السياق اللغوي⁵.

وهي القانون الذي يقتضي تبادلا لاصطلاحات بين الأفراد في سياق التعامل اللغوي، ولعل ما يطرح في القضية بعض النظر تركيز ابن سنان على المواضعة التي تنتقل بالفرد من مرحلة التوقيف دون الاعتماد على ما سموه المحاكاة الطبيعية للأصوات.

وفي ظل المقابلات الحاصلة في طرح ابن سنان تبرز إشكالية البحث في تميز الظاهرة اللغوية عنده بإحدى علاقيتين برزت في الطرح اللغوي وهما المواضعة والاعتباطية، وسنحاول فيما يلي الوقوف على رأي

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 67.

² عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 147.

³ ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الاستعمال، منشورات موفم للغة العربية، دط، 2013م، ص 33.

⁴ عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الاستعمال، ص 33.

⁵ ينظر، عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 147، 148.

ابن سنان وعرض بعض فكره بما يحويه من معطيات النظام اللساني اللغوي، يقول ابن سنان: "وإنما فرع العقلاء إلى الحروف في المواضعة لأنها أسهل وأوسع ومع التأمل لا يوجد ما يقوم مقامها"¹، مراعيًا في ذلك الحاجة الإنسانية الاجتماعية لهذا المقوم.

وقضية التفرقة بين الاستعمال والوظيفة أمر واضح عند ابن سنان، وحال الإرادة قائم فيقصد المتكلم الذي يفرق بين المفيد وغير المفيد من الكلام عنده، والذي يحسن اختيار التعبيرات الحقيقية والمجازية التي تنبئ عن حاله وظروفه.

ويظهر ذلك في قوله: «والمفيد من الكلام ينقسم إلى قسمين: حقيقة ومجاز. فاللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو ما أريد به ما وضع لإفادته، والمجاز هو اللفظ الذي أريد به ما لم يوضع لإفادته. والكلام المفيد يرجع كله إلى معنى الخبر. ومتى اعتبرت ضروره وجدت لا تخرج عن ذلك في المعنى»².

وفي سياق الحديث عن القصد والمواضعة وعلاقتها بالكلام استفاد ابن سنان من رأي القاضي عبد الجبار القائل: «إنا لا نقصد بقولنا إن الكلام هو المفيد إلا أنه متى وقع أفاد. وإنما نريد به أنه إنما يصح وقوع الفائدة به وإن كان قد يخرج من كونه بهذه الصفة لحال تختص بالمتكلم»³ وكان قد قدم لذلك مثالاً: «كلام المجنون... قد يسمى كلاماً وإن لم يفد لأن للقائل أن يقول: إنه يفيد في الأصل موضوعه وإن كان المتكلم به لا قصد له»⁴، إلى مثل ذلك يشير الخفاجي إلى تعلق حصول الإفادة بتوجيهات الواضع للكلام وبيان ذلك في لغة الخطاب، يقول في ذلك: «وهذا الباب أعني المواضعة والاصطلاح في الخطاب...»

يتغير بتغير الأزمنة والدول (...) لكن أصول الأغراض في الأوصاف والمعاني مما لا تتبدل ولا تتغير فليكن الائتمام بها واقعا، والاجتهاد في جريها على قانون السداد والصواب حاصلًا⁵، وتدخل مؤشرات الزمان والمكان من مقومات الكلام ولا تؤثر في تحديد فحوى الخطاب وأغراض الظاهرة اللغوية.

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، 73.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 67.

³ القاضي عبد الجبار، المغني، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م، ص 10.

⁴ نفسه، ص 11، وينظر، أيضا: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب، ص 33.

⁵ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 251.

وهي إشارات نبّه لها العسكري وربطها بمبدأ الاستعمال، يقول: «ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى»¹، لأن الأغراض واحدة.

ويستطرد ابن سنان في اعتماد المواضعة سبباً لتحديد مقاصد المتكلم وتأسيس مفهوم الإفادة، ويرى أنه " لو كان الكلام هو المفيد عندهم وما لم يفد ليس بكلام لم يكونوا قسّموه إلى قسمين، بل كان يجب أن يسلبوا ما لم يفد اسم الكلام رأساً، لا أن يجعلوه أحد قسميه. على أن الكلام إنما يفيد بالمواضعة، وليس لها تأثير في كونه كلاماً، كما لا تأثير لها في كونه صوتاً، وأي دليل على أن اسم الكلام عندهم غير مقصور على المفيد... من تسميتهم للهديان الواقع من المجنون وغيره كلاماً. وليس يمكن دفع ذلك عنهم ولا إنكاره"²، وهو الأمر الذي تحدّث عنه القاضي عبد الجبار في باب المقابلة بين ما تواضع عليه الناس من لغة وبين الاستعمال المتداول بينهم من ناحية الفعل³.

وليس أدلّ على صحة ما ذهبنا إليه إشارة ابن سنان نفسه إلى قوة الفعل التخاطبي الحاصل بين المتكلم والسامع الذي قد يشمل الأغراض النفسية المحتواة فيه. وما ذكره في سياق حديثه عن المواضعة في اللغة ما يثبت ذلك، يقول: «وقد ظن قوم أن المواضعة بيننا تحتاج إلى إذن سمعي، ولاوجه لهذا القول، إذ الدواعي إلى التخاطب وتعريف بعضنا مراد بعض قوية،

والانتفاع بذلك ظاهر... وكما تحسن من أجدنا الإشارة في بعض الأوقات إلى ما يريد من غير إذن سمعي، فكذلك المواضعة على كلام يدل عليه»⁴.

فالقصد قضية تفرض نفسها على صاحب الكلام وفق معطيات السياق، وتجعله رهيناً بالدلالات المشحونة التي تكشفها توافقات المجتمع الواحد، سواء أكانت بصورة مباشرة أم غير مباشرة.

وقد سبق القاضي عبد الجبار ابن سنان الحديث عن فائدة المواضعة وعلاقتها بالكلام واللغة والخطاب خاصة عندما قرّتها بعنصر الإفادة لأن الكلام لا يتخذ سبيل الإفادة إلا إن تقدمت المواضعة عليه، وإلا كانت حاله وحال سائر الحوادث واحدة لا تختلف⁵.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب، ص 69.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 59.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب، ص 73.

⁴ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 73.

⁵ ينظر، القاضي عبد الجبار، المغني، ص 11، 12، وينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب، ص 34.

وانطلاقاً مما ذكر، فإننا نرى في مؤلفات أصحاب التراث العربي كثيراً من المفاهيم اللسانية الحديثة، وهذا أمر لا يقتصر على الجوانب اللغوية فقط بل حتى البلاغية منها، ولطالما أشاد الباحثون بالإشارات التي تتعلّق بالوظائف اللغوية، ومن ذلك ما حُصِّ به ابن سنان فقالوا: «فانحصرت وظيفة اللغة قديماً عند ابن سنان، مثلاً، في الوظيفة التبليغية، يدل على ذلك قوله: «ومن شروط الفصاحة والبلاغة، أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمّل فهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً...»¹.

ولم يقف وصف ابن سنان على هذه الوظيفة بل ركّز على الوظيفة الإفهامية والمرجعية وغيرهما، يقول: «والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أنّنا قد بينّا أن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج إليه ليعبرّ الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في أصل الكلام وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً ويجعل حدّه كليلاً»².

المطلب الأول: المواضعة و التواصل الإشاري عند ابن سنان

إن عرف أصحاب الدرس القديم يبنّي على صرف بنية الكلمة وتآلفها مع الأصوات البادية فيها فتتحاكي أسماء ومسميات أصواتها الطبيعية أو التواصلية، وتقترن هذه العلاقة - بين ما يسمى واسمه - بمبدأ القصد الذي ينشئ نوعاً من الانسجام بين الصورة السمعية وصورتها الذهنية وبين المتكلم والمخاطب في حالة وجوب علائقي بين الطرفين.

ولم تفت ابن سنان الإشارة لحاجة الكلام إلى العلامة اللغوية وغير اللغوية على نحو صرّحت به المباحث اللسانية الحديثة، فأوماً إلى فكرة استغناء اللفظ عن الإعراب بذاته ووضعه - لأن اللفظ إنما يوضع بإزاء المعنى، فيستعمل المتكلم الأوّل ويريد الثاني - ويكون الاستغناء بطرد المعالم الصوتية وأداء الوظيفة ببعض أساليب الخطاب التي تقف موقف عملية التواصل،

وتحقق أغراضها فيقول «... إذ الدواعي إلى التخاطب وتعريف بعضنا مراد بعض قوية، والانتفاع بذلك ظاهر، ولا وجه فيه من وجوه القبح قبّحت حسنه، كالتنفس في الهواء»³.

وإنما يعني بذلك القدرة الإنسانية على افتعال أساليب كلامية غير صوتية، تستند على أسس المواضعة وقوة حضورها بين الطرفين، ولقد أدرك ابن سنان العلاقة اللغوية الناشئة بين تواضع الناس واصطلاحهم

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، 11، 12، وينظر، ابن سنان، سر الفصاحة، ص 221.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 222.

³ نفسه، ص 73.

على المفردات وبين الاستعمال الوضع يلهما، فجعل إمكانية التعويض اللغوي حاصلة ضمن السياق والمقام فقال: «وكما تحسن من أحدنا الإشارة في بعض الأوقات إلى ما يريده من غير إذن سمعي ... فكذلك المواضعة على كلام يدل عليه،...»

ومن فرق بينهما فمقترح¹، لتأسس المواضعة على نحو زماني سابق للدلالة الخارجة عن اللغة، فيكون المعنى حاصلًا عنده على مستويين هما:

1- المستوى الذهني.

2- المستوى السمعي.

وصحيح ذلك من وجهة نظر البحث اللغوي الذي يستلزم كون المواضعة اللغوية لا تتأسس نشأتها إلا بحدوث الازدواج بين العلامات الدالة، وبذلك يتأتى للعناصر الخارجة عن اللغة أن تحتل مكانها في هذا النظام اللساني الذي يسمح بتوظيفها واستغلالها².

ويضاف إلى ما تقدم مستوى إشاري تتخذ فيه الصورة اللفظية بعد علاماتها غير لغوي يكون أساسه الاصطلاح الحاصل بين أفراد البيئة الواحدة، و مفهوم الاصطلاح في حد ذاته: "يتسع من المنظومة اللسانية إلى كل ما له دلالة من خط وإشارة وعقد ونسبة وغيرها من الأنظمة العلامية العامة، وتشارك جميعها مع الظاهرة اللغوية في أنها تستند إلى "ترامز" يقوم مقام "التسمية الاصطلاحية" النابعة عن الأشياء وحقائق الموجودات"³ فتكون المواضعة مطروحة في مقام استبدال المعاني الذهنية بالألفاظ.

واستعاضة ابن سنان بالإشارة كعلامة دالة غير كلامية تؤدي وظيفة إلهامية يقوم على حضور عناصر التواصل نظرا للاعتماد على القرينة البصرية التي تقوم مقام السمعية فيها وتحضر مكان اللفظ، وتلوح وراء هذه الفكرة الأبعاد الزمانية والمكانية التي تسبق المواضعة اللفظية، لكنها لا تؤدي الدور الحقيقي الذي تثبته الأصوات والحروف بالحدث الكلامي، وإلى مثل ذلك أشار ابن سنان، حيث يمكن أن تفقد الإشارة كفاءتها البلاغية بمجرد نأي المتبالغين نأيا كلياً عن بعضهما أو عن بعض ما اختير في المكان إشارة تبالغية بينهما.

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 74.

² عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 122.

³ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 118، وقد استمد ابن سنان هذه الفكرة أيضاً من الجاحظ الذي صنف الدلالة على المعاني إلى دلالات لفظية وغير لفظية، هي: اللفظ والإشارة والعقد، والخط، والنسبة، ينظر، البيان والتبيين، ج 1، ص 76، 77.

وهذا على افتراض كون المتبالغين حالين في المكان ومتناظرين فيه"¹، وعلى هذا الأساس فإن الإشارة تستدعي شروطا منهجية في قضية التواصل والإبلاغ، وهو الأمر الذي أشار إليه صاحب المحصول حينما قال: «فيصح من الواحد منه أن يضع لفظا لمعنى ثم إنه يعرف الغير ذلك الوضع بالإيماء والإشارة ويساعد الآخر عليه"²، ونرى أن ابن سنان يدل على حاجة المتكلم إلى معرفة القصد لتكتمل الدلالة على اللفظ ولو إشارة، لأن الكلام الحاصل قد يشير إلى بعض المسميات دون بعض، «ولو اقترن بهذا الكلام إشارة إلى مسمى دون غيره لأننا لا نعلم توجه الكلام إلى ما توجهت الإشارة إليه، وإنما يعلم بعضنا من بعض (...)

وتخصص الإشارة بجهة المشار إليه لا يعلم بها هل الاسم للجسم، أو للونه، أو لغير ذلك من أحواله. وأما إذا تقدمت المواضعة بيننا، (...) علمنا مراده لمطابقة تلك اللغة"³ وتأسيسا على ذلك تكون الاعتبارية/أو المواضعة نظاما علاميا وحضورا مكثفا للقدرة الكلامية في الإنجاز، فكلما تبيّنت في الجهاز التعبيري كانت سببا في سعة النظام البلاغي والمولد الدائم فيه⁴، لتحقيق الفهم والإفهام النموذجي بين المتكلم والسامع، وعلى ذلك نصّ ابن سنان ومن جاء قبله القاضي عبد الجبار وأبي حامد الغزالي والرازي والآمدي وغيرهم.

المطلب الثاني: المواضعة ومقصدية اللغة

بناء على ما تقدم يمكن الجزم بأن أسلوب المواضعة يستلزم عملية القصد التي تستدعيها مقتضيات الخطاب في حضور عنصر التفاعل والاشتراك الذي أقرّته سنن المواضعة من ضمان مراتب الخطاب بين المتكلمين ولهذا "المواضعة والقصد يقومان بالوظيفة الأساسية في عملية الفهم والتفهم؛ لأنه لو انتفى القصد ولم تعرف المواضعة من الألفاظ لخرجنا من إطار الكلام بوصفه دلالة إلى مجال الأصوات التي لا فائدة منها"⁵، ولذلك يشترط ابن سنان في تناول الكلام بين طرفي التواصل حصول التوافق في وضع المدلول واللفظ الدال عليه بما في ذلك حصول الاصطلاح في معرفة اللغة والاطلاع على مفرداتها لتحقيق المعنى - كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا-، وهو الأمر - كما لاحظنا- الذي تؤكد عليه الدراسات

¹ رشيد مجايوي، التبالغ والتبالغة، ص 61، وينظر الجاحظ، البيان والتبيين، ص 79، 80.

² ينظر، الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، ص 184.

³ ابن سنان، سر الفصاحة . ص 72.

⁴ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 116.

⁵ مختار بولعراوي، قضية اللفظ والمعنى، مكتبة الآداب، القاهرة ط1، 2009م، ص 80.

اللسانية من ضرورة توافق اللغة بين طرفي الخطاب حتى لا تكون أصواتا مقطعة مرسلة لا معنى لها، وعن ذلك صرح سوسير: «لا وجود للكيان اللغوي إلا بفضل اقتران الدال والمدلول، وما إن نقصر على أحدهما دون الآخر حتى يتلاشى ذلك الكيان ويضمحل، فيخرج عن كونه شيئا ملموسا ويدخل في عداد المجردات فالمقطع لا قيمة له إلا في الفنولوجيا،...

كما أن المجموعة من الأصوات المتتالية لا تعد ذات قيمة لغوية إلا متى كانت عماد الفكرة من الأفكار»¹، وهذا تنبني فكرة المواضعة على احتراز التوافق بين المتخاطبين في إطار ماتعرف عليه من مفردات وألفاظ حضرت بالمواضعة والاصطلاح وتتكون على أساسها لتكون سببا يشكل "عقدة فهم السامع لمحتوى رسالة المتكلم، وإنما تكمن في اهتدائه إلى نسيج المواضعة التي تألف عليها الكلام، أو لنقل إلى تفكيك الرسالة طبقا لمكوناتها العلامية"².

المطلب الثالث: مطابقة الكلام لمقتضى الحال

تحضر في فصاحة الخفاجي كثير من المصطلحات التي تبحث في المعنى و كفييات ضبطه، نذكر منها عنايته بشروط الفصاحة بمستوييها؛ في الألفاظ المفردة، وفي الألفاظ المؤلفة، وعنايته بقضية اللفظ والمعنى وكشفه العلاقات الدلالية بينهم، وتفاعلها في إنتاج وتأويل العبارة اللغوية، ولعل من أبرز ما تناوله من قضايا تهتم بضبط المعنى "فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال" التي كانت موجهها أساس الدرس البلاغي، وطالما ارتبطت الفكرة بما اصطلح عليه حديثا بلفظ "السياق بنوعيه" الذي يجعل المتكلم مرتبنا بخصوصية حاضرة في نصه تتحكم في أساليبه وعباراته، وتمكّن السامع من الاستدلال على المعنى المقصود بما يوفره له من قرائن سياقية مقالية ومقامية.

وهي فكرة لم تغب عن درس ابن سنان بلبها تتحدد سياقات الكلام ومقاصده كونها تتعلق

ب "مجموعة من الاعتبارات والظروف والملابسات التي تلابس النشاط اللغوي".

ويكون لها (أو ينبغي أن يكون لها) تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه بحيث لا تتحدّد دلالة الكلام أو تتجلى مزاياه إلا في ظلّها، وفي ضوء ارتباطه بها، وقد ترددت في تراثنا بصدد ذلك الارتباط تلك العبارة الدّائعة لكلّ مقام مقال"¹.

¹ ابن سنان، سر الفصاحة ، ص 81.

² المسدي، التفكير اللساني، ص 140.

وهي إشارات حضرت في نصوص ابن سنان لتؤكد على ضرورة توافق تراكيب الكلام مع المقاصد والسياق الذي وردت فيه، فإن لكل مقام مقالا، ولكل غرض فنا وأسلوبا² فالمقام عنصر مهم في تحديد نوعية الخطاب والأسلوب الموجّه للمُخاطبين، ونجد أيضا في حديث ابن سنان عن أسلوب المدح والذم وغيرها. وتأكيدا على ضرورة مطابقة الكلام لمعناه أو غرضه يقول: «وأما الغرض فبحسب كلام المؤلف فإن كان مدحا كان الغرض به قولاً يبنى عن عظم حال الممدوح، وإن كان هجواً فبالضد³».

فطرح الخفاجي في هذا المقام تأكيد على ضرورة حضور السياق والنص والمقام في أي تواصل لغوي وعمل إبداعي كونها عناصر تعمل متضافرة لأجل تأدية العمل الفني والإبداعي كما تشير الباحثة خلود العموش⁴ وعلى أساس هذه العناصر يتم:

أ/ المطابقة بين مقاصد المتكلم ومضمون الخطاب.

ب/ المطابقة أساس لتنوع الأغراض بتنوع العبارات.

ج/ تمثيل المعنى إيصال الغرض للمخاطب وتحقيق النجاعة التواصلية بلغة تحمل تراكيبها مقاصد المتلفظ بالخطاب وإيصالها للسامع في أحسن صورة.

يقول ابن سنان: «والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أننا قد بيننا أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها، فقد رفض الغرض في أصل الكلام وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً للقطع، ويجعل حدّه كليلاً، ويعمل وعاء لما يريد أن يجره فيقصد إلى أن يجعل فيه خروفاً تذهب ما يوعى فيه⁵» فالملاحظ أن ابن سنان يؤكد على الوظيفة التواصلية للغة ممثلة في التعبير عن الأغراض والمقاصد، وهو تأكيد يركز من خلاله على ضرورة حصول المطابقة في كلام المتكلم، فالمقام الذي دعاه لإصدار الخطاب يقتضي منه

¹ حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م، ص 194. ويقول تمام حسان: "ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زماهم لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارها أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن من الكشوفات التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة" وينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2004م، ص 377.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 173. وينظر للاستزادة ص 251، 250.

³ نفسه، ص 113. ، وينظر، حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص 195.

⁴ ينظر: خلود العموش: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008م، ص 56.

⁵ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 222.

مراعاة ظروف الإنتاج وملابسات الموقف، حتى تتحقق وظيفة اللغة، وهو الأمر الذي حدا بابن سنان إلى تبني ما أورده الجاحظ من كون البلاغة هي حسن إفهام الناطق وقدرة الناطق على هذا الإفهام. وهذا تفكير يقترب مما أشار إليه التداوليون حديثاً، يقول ج. أوستين " « إن مسألة الأغراض والمقاصد في التلفظ بالعبارة وما يحتف بها من سياق قرائن الأحوال، هي مسألة لها خطرها وشأنها»¹.

المطلب الرابع: القصدية التواصلية عند ابن سنان والتفاعل الخطابي

تمثل المقاصد نقطة جوهرية في كل تواصل، بل هي لب الحدث التواصلية، فلا توجد علامات أو ألفاظ تستخدم إلا ووراءها مقاصد وأغراض تُعبر عنها، ولذلك حفلت بها الدراسات اللغوية كثيراً فبحثوا عن غرض المتكلم من كلامه والفائدة التي يجنيها سامعه وكيفيات استدلاله على مقاصد مخاطبه من خلال تراكيب كلامه بما تحويه من إحالات ومضمرة خطابية، وكان للظاهرة وجود بارز في أذهان بلاغينا ولغويينا فأدركوا أهميتها وضرورتها، وهذا ابن جني يعرف اللغة ويحصر وظيفتها التواصلية في التعبير عن الأغراض والمقاصد... يقول: « حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»².

ولم يفت ابن سنان كذلك التركيز على هذه النقطة فمنح اللغة بعدا دلاليا تواصليا بإبراز عناصرها الحاضرة في العملية الأدائية، بالتركيز على حضور أغراض الكلام ومقاصده بين مرسل ومتلق، والقصدية ترتبط بمبدأ المواضع، فالسامع لا يمكنه إفهام مقاصده دون امتلاكه اللغة بمستوياتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية التي تمكنه من معرفة العلاقة بين الدوال والمدلولات ومعرفة كيفيات تركيبها وقاعدة ذلك في الاستعمالات المختلفة وهي كلها تنتظم في مبدأ المواضع الذي ينظم إنتاج الخطاب³.

فالمواضع مؤسسة للدلالة التركيبية القصدية الكامنة في معاني الكلام⁴، كما نوه لها الخفاجي في صوتها وتركيبها ودلالاتها حتى تنتظم طرق إنتاج الخطاب عنده.

ومن هذا المنطلق استطاع الخفاجي أن يجعل من مخطط دراسته للفصاحة آليات تتحدّد بها المعايير الأولية للتواصل، ونراه يشدد -في هذا المقام- على شرط آخر يضمن السلامة اللغوية ووضوح الرؤية،

¹ جون لانشو أوستن: نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د، ط)، 1992م، ص 65.

² ابن جني، الخصائص، ص 33.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، ص 183.

⁴ ينظر، حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص 77.

يقول: «ومن شروط الفصاحة و البلاغة أن يكون معنى الكلام واضحا جليا لا يحتاج إلى فكرفي استخراجه وتأمل لفهمه، سواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوما أو منثورا»¹.
فابن سنان الخفاجي يؤكد على ضرورة وضوح المعنى وضبطه في صورة حسنة ، وهو ما يتم من خلال حسن توظيف تراكييب الكلام بما يخدم المقاصد التي يروم المتكلم تحقيقها، ذلك أنّ خفاء المعنى في الألفاظ يحول دون حسن الفهم للمقاصد.

ومن شروط وضوح المعنى عنده الإيجاز، والفصاحة عند ابن سنان هي الإيجاز في الكلام بقدر ما يفهم السامع ، وليس للإطالة في الكلام والإطناب فيه علاقة بفصاحته، لأن المتكلم الفصيح(البليغ) هو الذي يملك قدرة أدائية أو ملكة بلاغية تمكنه من توفية المعاني حقها والتعبير عنها بأقل تراكييب ممكنة وبما يناسب مقام التخاطب والمخاطبين(عامهم ومبتدئهم ومن لا يسبق خاطره إلى تصور المعاني)، فيكون التفاعل الخطابي بين المتكلم والسامع بليغا وموجزا في صورة خطابية راقية.

يقول ابن سنان: «ومن شروط الفصاحة والبلاغة : الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يُعبّر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس»².

وهذا شرط أن يكون التفاعل الخطابي بين متكلم و سامع بصورة واضحة الدلالة في الكشف عن المعنى، لا أن يكون الكلام الموجز خافي المعنى وغامضه، يقول«فإن كان الكلام الموجز لا يدل على معناه دلالة ظاهرة فهو عندنا قبيح مذموم لا من حيث كان مختصرا بل من حيث كان المعنى فيه خافيا»³.
والقضية لا ترتبط عند ابن سنان بطول العبارة أو قصرها، بقدر ارتباطها بأداء المعاني «فالعلاقة بين اللفظ والمعنى ليست علاقة مطابقة ومساواة وإيجاز وإطناب، وإنما ستصبح طريقة تتدرج من مذهب في التعبير ينسب إلى أوساط الناس، والمعروف بينهم والجاري في التعبير عن المعاني حيث المتكلم في هذا المستوى لا يزيد على التعبير عن الحاجة والمعنى القريب البسيط إلى مذهب في القول يعكس قدرة هذه الأساليب على فتح باب الفهم والتأويل وللوصول إلى معان كثيرة»⁴.

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 221.

² ابن سنان، سر الفصاحة ، ص 209.

³ نفسه، ص 210 .

⁴ نور الهدى باديس، بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة ،مبحث في الإيجاز والإطناب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1 ،

2008 م، ص 19 .

فالمقاصد لا تتعلق بدرجة المقبولية عند متلقيها فقط بل تشمل قدرة المتكلم وبراعته في توجيه خطابه بما يناسب مقامه؛ لذلك نراه معلقا في عدة مواضع عن رفضه لمثل هذا التوجه بالتركيز على المخاطب وحاله فقط فيقول «فإن الألفاظ إذا طالت فيها وترددت في إيضاح المعنى أثر ذلك عندهم فيه، ولو اقتصر بهم على وحي الألفاظ وموجز الكلام لم يقع لأكثرهم -

حتى يقال في ذكر السيف: الحسام القاطع، الجزار، الباتر، وفي وصف الشجاع: البطل الفاتك، النجد الباسل وما يجري هذا المجرى»¹. وقال: «وإن كان الغرض في الأصل واحدا فليس هذا مما نحن بسبيله لأنه بمنزلة إعادة كلام واحد مرارا عدة، فإن تلك الإعادة لا تؤثر فيه حسنا ولا قبحا»².

فالعلاقة بين الملفوظ والمتلفظ به لا ترتبط عنده بالطول والقصر والإيجاز والإطناب - كما سبقت الإشارة - فقط بل تستلزم حضور عناصر مكونة للعملية الخطابية أساسها دلالة الألفاظ على معانيها، يقول: «والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أننا قد بينا أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني. ولا موضحة لها، فقد رفض الغرض في أصل الكلام وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفا للقطع، ويجعل حدّه قليلا، ويعمل وعاء لما يريد أن يحزره فيقصد إلى أن يجعل فيه خروقا تذهب ما يوعى فيه»³. وبهذا تبدو وظيفة اللغة عند الخفاجي - التعبير عن الأغراض والمقاصد - ظاهرة خطابية تبليغية أساسها طرفا التخاطب والقصد والسياق.

ثم تنكشف في فصاحته صور أخرى للوظائف اللغوية تظهر في قوله: «ثم لا يخلو المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه»⁴.

فلا تخلو عبارته من الإشارة إلى حضور قصد المرسل في الخطاب بمستويين أو نوعيه إرادته إنشاء خطاب موجّه لغيره، وقصده إفادة غيره مضمونا ما (الفهم والإفهام)،

وهو ما تشير إليه لسانيات التداولية الحديثة في مبدأ القصدية الذي تتمثل حقيقة في "كونه ينبنى على قصدتين: أحدهما يتعلّق بالتوجه إلى الغير، والثاني يتصل بإفهام هذا الغير، أما القصد الأول، فمقتضاه أن

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 209.

² نفسه، ص 211.

³ نفسه، ص 222.

⁴ نفسه، ص 223.

المنطوق به لا يكون كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعدّ متكلمًا حقا.

أما القصد الثاني فلا يكون المنطوق به كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعدّ متكلمًا حقا حتى لو صادف ما تلفظ به فهما ممن التقطه، لأن المتلفظ لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد أفهم ما فهم وإذا تقرر أن كل منطوق به يتوقف وصفه بالكلام على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد التوجه بمنطوقه إلى الغير ولقصد إفهامه بهذا المنطوق معنى ما، فاعرف أنّ المنطوق به الذي يصلح أن يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام مقتضيات التواصلية الواجبة في حقّ ما يسمى خطابا¹

وبالربط مع المفاهيم اللسانية الوظيفية للغة، فكلام الخفاجي لا يخلو من الإشارة الضمنية إلى أهم الوظائف في الظاهرة اللغوية: التعبيرية، والإفهامية، والمرجعية، وتستدعي رؤية الخفاجي البسيطة أبعادا نصية منها: القصدية التي تتمركز حول ذات المرسل، والمقبولية التي يمثلها مستقبل الرسالة، والمقامية التي تظهر من خلال السياق²، فالمتلفظ بالخطاب يروم إفادة سامعه والتأثير فيه ونقل مقاصده من خلال إنتاج خطاب يراعي فيه شروطا نصية تكلم عنها الخفاجي في فصاحته، وأما المخاطب فيبحث عن كفاءات الاستدلال عن المعنى والوصول إلى مقاصد المخاطب وجني الفائدة منها مثلما قصدها صاحبها لحظة إنتاجها.

المبحث الرابع: المتكلم و إنتاج المعنى عند ابن سنان:

نلاحظ في كثير من المواضع إصرار ابن سنان على ذكر المعنى وعلاقته بالمقاصد التي يؤديها صاحب كلام معين، وكلّ ما اقترحه ابن سنان وأولاه من العناية والدراسة شأنًا يؤدي بالخطاب إلى تحقيق العملية التواصلية وتحقيق الأداءات الوظيفية التي تكسبه مدلولاته المختلفة، ومن مثل ذلك قوله: «ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه»³، وهذا وصف وظيفي لاستعمالات الألفاظ ووضعها في لغة الخطاب؛ لذلك نراه مشددا في

¹ الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 192.

² روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998 م، ص 103.

³ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 221.

غير موضع على ترك الكلام إذا لم تحصل منه الفائدة ويتحقق من ورائه القصد، ويتم به المعنى بتأدية الرسالة فيقول: "ولا خلاف بأن الصمت أفضل من مطرح الكلام ومنبوذه، وأوفق للسامع من كلف ذلك" ¹... ثم أفاض الحديث في قضية المعنى ببيان الأوجه المتعلقة باللفظ - المفرد والمؤلف - والمعنى، فذكر أسباب عدم القدرة على التواصل الصحيح بين أطراف الكلام فقال: «وإذا كان هذا مفهوماً فالأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على السامع ستة:

اثنان منها في اللفظ بانفراده، واثنان في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض، واثنان في المعنى (...).، وأما اللذان في المعنى؛ فأحدهما أن يكون في نفسه دقيقاً، وكثير من مسائل الكلام في اللطيف، والآخر أن يحتاج في فهمه إلى مقدمات إذا تصوّرت بني ذلك المعنى عليها، فلا تكون المقدمات حصلت للمخاطب فلا يقع له فهم المعنى، كالذي يريد فهم فروع الكلام والنحو وغيرهما من العلوم قبل الوقوف على الأصول التي بنيت تلك الفروع عليها» ²،

وهذا إلمام من الحفاجي بكثير من الرؤى اللسانية والتداولية التي تتجلى في مباحث الدرس اللغوي الحديث، خاصة فيما يتعلّق بإنتاج الكلام، وتأويله، وإنتاج المعنى عن طريق الإشارات التداولية التي يتضمنها قوله فركّز على إفهام المخاطب بتحديد سياق الكلام، والتّمكن من العلوم التي تسبق طبيعة الموضوع، ولذا نراه مشدداً على حسن الأداء الوظيفي لطرفي الخطاب، قائلاً: «وما أحسن ما قال إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام:.. يكفي من حظ البلاغة ألاّ يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع. وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة» ³.

¹ نفسه، 83.

² نفسه، ص 222.

³ ابن سنان، سر الفصاحة ، 83.

الخاتمة

عالج البحث ملامح التفكير التداولي عند ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة والذي حاولت فيه استقصاء بعض المفاهيم التداولية (عناصر العملية التواصلية) وما يتوافق مع الدرس اللغوي التداولي المعاصر قدر الإمكان ، في حديثه عن موقع المتكلم في التفاعل الخطابي وغرضه والبعد التواصللي للكلام لديه وبناءا على المنهج المعتمد في التحليل ، وبعد النظر في طرح ابن سنان ورؤيته وقفت على بعض النتائج نذكر منها الآتي :

1 - كتاب الخفاجي من أشهر الكتب التي أسست لنضج الدرس البلاغي وفعلت في حركته ، محاولا فيه وضع نظرة تعليمية تسعى إلى تمكين المتكلم من آليات اللغة ومستويات تحليلها صوتا وتركيبا ودلالة .

2 - كتاب سر الفصاحة في تنظيمه لعناصر الفصاحة لدى المتكلم وأهميتها في التفاعل الخطابي وشروطها مصدر استقت منه الكتب البلاغية اللاحقة .

3 - كان ابن سنان واعيا جدا بضرورة تأسيس آليات الفصاحة على الصوت كبنية تحتية للفظة ، وإدراك هذا البعد الوظيفي والتواصللي بحروفه ومخارجه وصفاته ، ويكشف عن أبعاد لغوية تتقاطع كثيرا مع معطيات علم اللغة الحديث الذي يركز على بنية الصوت ، ثم بنية الكلمة فالتركيب وصولا للنص .

4 - كل الآراء التي أوردها ابن سنان تشدد على فكرة واحدة وهي الإبلاغ وتحقيق التواصل فنراها في مواضع تعنى بلغة المتكلم وقدرته الأدائية ومدى كفاءته ، وتعنى في أخرى بالسامع و موقعه في عملية التواصل ، كما تبحث في مدى تحقيق الرسالة للغرض الذي أنشئت لأجله سواء أكانت شعرية أو نثرية .

5 - تظهر حقيقة الفصاحة في اعتماد مبدأ دقة الاختيار وحسن التأليف قصد الإفهام الذي يضمن البناء اللغوي الجيد والسليم (الفصيح).

6- أبدى ابن سنان الخفاجي اهتمامه الكبير بعنصر الكلام وهو فرع لغوي تباحثته كتب الدرس اللساني المعاصر .

● 7- لم يفت ابن سنان بالتركيز على حضور أغراض الكلام ومقاصده بين مرسل ومتلق ، باعتبار أن القصدية ترتبط بمبدأ المواضعة ، وتأكيد على ضرورة وضوح المعنى وضبطه ، وهو ما يتم خلال حسن توظيف تراكيب الكلام بما يخدم المقاصد التي يروم المتكلم تحقيقها ، ذلك إن خفاء المعنى في الألفاظ يحول دون حسن الفهم للمقاصد .

8- شغل ابن سنان قضايا الدرس اللغوي التداولي المعاصر من خلال إشاراتِه إلى المضمَر من الخطاب في قضايا التفاعل الخطابي .

9- تركيز ابن سنان على العناية بتلاؤم الألفاظ والمعاني عناية بالغة لأنها من شروط الفصاحة .

10- تكلم ابن سنان عن الفصاحة مشيراً إلى الصحة في الأغراض و الأوصاف حسب الكفاءة التواصلية بأن يمدح أو يذم الإنسان بما يليق به شعراً أو نثراً .

11- إمام الخفاجي بكثير من الرؤى اللسانية والتداولية التي تتجلى في مباحث الدرس اللغوي الحديث ، خاصة فيما يتعلّق بإنتاج الكلام ، وتأويله ، وإنتاج المعنى عن طريق الإشارات التداولية التي يتضمنها قوله فركّز على إفهام المخاطب بتحديد سياق الكلام .

وعموماً فكتاب سر الفصاحة لابن سنان ، بعد بحثي المتواضع وجدت أنه يضم خبايا كثيرة في البلاغة واللغة... ولا يزال يحتوي غيرها مما سيسهم في إثراء خطابنا وتراثنا البلاغي ، يحتاج فقط إلى منهجية ودراسات جديدة تبرز أهميته في الدرس اللغوي المعاصر ، وفي الأخير آمل أن يكون البحث قد حقق الأهداف المرجوة ، وأن يثري مجال البحث في الدراسات العربية .

تم بحمد الله وتوفيقه .

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم، (برواية ورش عن نافع).
المراجع باللغة العربية
الكتب

1. المتوكل، أحمد؛ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان، الرباط، 2001م.
2. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم؛ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1995م.
3. ابن دُرَيْد الأزدي؛ أبي بكر محمد بن الحسن؛ الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1991م.
4. ابن فارس؛ مقاييس اللغة ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط 1 1991، م.
5. _____؛ مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون، ج 2 ، دار الفكر، لبنان، 1979م.
6. أوستن، جون لانشو؛ نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د، ط)، .، 1992م.
7. أوكان، عمر؛ اللسانيات والتواصل، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م.
8. باديس، نور الهدى؛ بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة – مبحث في الإيجاز والإطناب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1 ، 2008 م.
9. بلخير، عمر؛ تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م.
10. بوجادي، خليفة؛ في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم ،بيت الحكمة، سوريا، ط2، 2012م.
11. _____؛ في اللسانيات التداولية ومقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ،بيت الحكمة، سوريا، ط 1، 2012 م .
12. بولعراوي، مختار؛ قضية اللفظ والمعنى، مكتبة الآداب ،القاهرة ط1، 2009م.
13. جاكبسون، رومان؛ البحوث في اللسانيات العامة ، ، ترجمة: علي حاكم وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2002م.
14. الحاج صالح، عبد الرحمن؛ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، منشورات موفم للغة العربية، دط، 2013م.
15. الحاج، محمد؛ ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2001 م.
16. حسان، تمام؛ اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2004م.

17. الخفاجي، ابن سنان؛ ديوانه، تحقيق: د/ عبد الرزاق حسن ، المكتب الإسلامي ،سوريا، ط 1 1988، م.
18. الخفاجي، ابن سنان؛ سر الفصاحة، ، تحقيق:عبد الواحد شعلان ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 2003م.
19. خفاجي، محمد عبد المنعم؛ بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي، ، المطبعة الفاروقية الحديثة، ط1، 1950 م.
20. دي بوجراند، روبرت؛ النص والخطاب والإجراء، ، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998 م.
21. السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي؛ صاحب الأنساب ، تحقيق: عبدالله عمر .البارودي، دار الفكر، بيروت، ط 1 ، 1988 م.
22. الشهري، عبد الهادي ظافر؛ استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط 1 – 2004م.
23. الشيباني الجزري؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد؛ اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980 م.
24. الصابوني، محمد علي؛ صفوة التفاسير، بيروت، لبنان ، ج1، دط، 2001م.
25. صحراوي، مسعود؛ التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة ، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، وأحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ،الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، بيروت، 2000 م.
27. صولة ، عبد الله؛ الحجاج في القرآن الكريم ، ط 2 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2007 م.
28. طبل، حسن؛ المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي ، ط 1 ، القاهرة، 1998م.
29. العموش، خلود؛ الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي،الأردن، ط 1 ، 2008م.
30. القاضي عبد الجبار، المغني ، ج7، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 2011م.
31. قيني، عبد القادر؛ نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام، دار إفريقيا الشرق، (د، ط)، 1991م.
32. الكتيبي، محمد شاكر بن أحمد؛ فوات الوفيات ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط 1 ، 2000م.
33. المسدي، عبد السلام؛ التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب،ليبيا ، ط 2 ، 1986، م.
34. النقاري، حمو؛ التحاجج طبيعته ، مجالاته ، وظائفه وضوابطه ، ط 1 ، النجاح الجديد ، الدار البيضاء، 2006م.
35. يجاوي، رشيد؛ التبالغ والتبالغية، نحو نظرية تواصلية في التراث، دار كنوز المعرفة العلمية، ط 1

2005 م.

الدوريات:

36. البستاني، بشيري؛ التداولية في البحث اللغوي والنقدي مجلة الابتسامة، الأردن ط1
2012م.
37. دحام، معن توفيق؛ التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل، 2012م.
38. مقبول، إدريس؛ في تداوليات القصد، مجلة جامعة الأبحاث للنجاح العلوم الإنسانية، المجلد 28، 2014م.

المعاجم:

39. ابن منظور؛ لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994م..
40. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر؛ مختار الصحاح، مكتبة لبنان دط، 1986م.
41. الرومي الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله؛ معجم الأدباء، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1991 م.
42. الكفوي، أيوب بن موسى الحسين؛ الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق محمد عدنان، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 1994م.
43. مانغونو، دومنيك؛ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، 2008م.
44. ياقوت الحموي، ابن عبد الله أبو عبد الله؛ معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ط2
1993م.

مواقع الإنترنت:

45. جاد كريم، عبد الله؛ أنواع التداولية، مقال من الانترنت، موقع شمس أخبار، تاريخ النشر، 2
ديسمبر 2016.
46. حمودي، محمد؛ الحجاج وإستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، جامعة مستغانم، الجزائر، مقال

من الانترنت، <https://platform.almanhal.com/Files/2/54209>

الملخص

حاولنا في هذه المذكرة تقديم بحث يفحص ملامح التفكير التداولي عند ابن سنان الخفاجي من خلال كتابه سر الفصاحة وتحليل عناصر العملية التواصلية عنده (المتكلم، المتلقي، السياق) بكل مكوناتها المقامية والنفسية والثقافية وشخصية المتكلم والمتلقي والمعرفة المشتركة بينهما.، حيث يأخذ في اعتباره أيضا الظروف والملابسات التي هي في صميمها جزء من الأحداث اللغوية عند التحليل والتطبيق، وكل ما يتعلق بالمنتج والمتلقي. فيشكل التفاعل التواصلية ماهية الخطاب.

الكلمات المفتاحية: ابن سنان، سر الفصاحة، التداولية، التواصل.

Résumé :

Nous avons tenté de présenter une étude de la pensée délibérative d'Ibn al-Khafaji à travers son livre Le Mystère de l'usurpation et d'analyser les éléments de son processus de communication (locuteur, récepteur, contexte) avec toutes ses composantes spatiales, psychologiques et culturelles. Et les circonstances qui sont au cœur des événements linguistiques dans l'analyse et l'application, et tout ce qui concerne le producteur et le destinataire. L'interaction communicative est ce qu'est le discours.

Les mots clés : Pragmatique, Ibn Sinan, le secret de l'éloquence, la communication.